(35)

عام النمل

سناء كامل أحمد شعلان

(35) مكتبة سلمى الثقافيّة
إبداعات

عام النمل

سناء كامل أحمد شعلان

هذه المجموعة حاصلة
على جائزة القصة المنظمة من طرف
مكتبة سلمى الثقافية وجريدة ملامح ثقافية
وذلك بتاريخ 8 ماي 2008

الكتاب:عام النمل
المؤلفة:سناء كامل أحمد شعلان
الطبعة: شعبان 1435 هـ -يونيو 2014 م
الطبع: مطبعة تطوان
رقم الإيداع القانوني الوطني: 1920 MO 2014
رقم الإيداع القانوني الدولي:978-9954-63401-1
ردمد :2351-8545
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

سيرة مولانا الماء

سيرة مولانا الماء هي سيرة الحياة ، بها أُرّختْ الأزمان ، وكُتِبَتْ الحقب ، وفي حصنْه انبثقتْ الحياة. فمولانا الماء هو الحياة . فمرحى لسيرة الماء ، وما أطولها وأشقاها من سيرة !.

(1)
سيرة التّكوين

تقــول الأسطورة إنّ مولانا الماء بدأ حياته وحيــدًا حزينــاً ، وإنّه وُجد من غير أبٍ أو أم ، وإنّما كان بكلمة كُن فكــان ، فكــان مزيجًا من الموت والحياة ، من الدّفء والبرد ، من الخوف والأمن ، من التدفّق والسّكون ، من الاعتام والنّور ، من القسوة واللّيــن ، من التعالي والتّواضع ، من البدايات ومن النّهايات ، كان خليطًا من كلّ المتناقضات ، ولذلك كان بقلب إنسان ، فهو كان أشبه الموجودات به ، ولذلك أيضًا أولاه الإنسان حبّه ، وكنَّ له التّقدير ، وعــدّه شــبيهه الأزلي ، وتوأم وجوده ، وأرّخ بأزليته تاريخــه الزّائــل ، وأســماه مولانا.

وتكريمًا لمولانا الماء فقد جعل الله عرشه العظيم فوق صفحات مائه ، ليتباهى بجلال وسرمديّة ، وترك له حريّة الحركة والانتقــال والتشكّل والتحوّل ، فكانتْ الغيوم أوّل أشكال الماء ، كــان عنــدها مولانا الماء صغيرًا يافعًا ، طاهرًا كدمعة ، ناعمًا كلمــة ، حنونــا كخفقة ، سهلاً كحزن ، اعتاد على أن يجوب الــدّنيا ، وأن يطــلّ عليها من علٍّ ، ولذلك فقد كان طاهراً بريئاً نبيلاً ســامياً لا يعــرف قسوة كالجبال ، أو إحراقًا كالنّار ، أو غضبًا حارفــاً كالرّيــاح ، أو تذبذبًا كالتّضاريس أو حقدًا كالمعادن ، أو خوفًــا أو ذلاً كالكائنــات الحيّة ، فقد كان مكانه السّحاب والغيوم حيث لا يرقى أحد.

نهارهُ كان يزجيه بمراقبة البشر ، والتسكّع في الفــضاءات ، وليله يقطعه بالتعبّد لله خالقه خالق الحياة من العدم ، فقد كان صديّقًا مؤمنًا تقيًّا مجبولاً على طاعة الله وعبادته إلى أن شغلته الدّنيا ببريقها ، فهفا قلبه إلى طيباتها وملاذّها ، فتمنّى أن ينعم بنقــائص البــشر ، وبزائل سعادتهم ، ووقع في حبِّ نساء الأرض وطعامهــا وحياتهــا ولهوها وعبثها وفنونها ، وتمنّى أن يهبط إلى الأرض ، ولأنّه مؤمن صالح ، لو أقسم على الله لبرّهُ ، فقد استجاب الله لطلبه ، وجعله يهبط من غيومه على شكل أمطار وبَرَدْ ، فعرف البشر المطر لأوّل مرةً في تاريخ وجودهم ، وانقسموا بين مرحّبين به ، وعدّوه هبة السّماء ، وآية الطّهر ، وسمّوا أنفسهم المؤمنين ، في حين عدّه الآخرون لعنة وغضبًا من السّماء ، وتطفّلاً علــى حيــاتهم ، ومبــادرة مــستفزّة لإزعاجهم وتبليل أجــسادهم وملابــسهم ، وإغــراق محاصــيلهم ، ورفضوا استقباله ، وهدّدوه بالهراوات والمناجل والسّكاكين والفؤوس ، فسمّاهم المؤمنون الكافرين ، لكنّ السّماء رفضتْ عودة الماء إليها ، بعد أن هجرها طائعًا زاهدًا بها ، فما كان من الماء أن احتلّ أغوار الأرض ومنخفضاتها ، واستلقى فيها بعد رحلة سياحة مــضنية فــي الأرض ، فكوّن البحار والبحيرات والأنهــار والجــداول والآبــار والينابيع ، وأروى ذلك الشّعور المضني من الجّفاف في حلوق البّشر الذي سُمّي تالياً بالعطش ، فتقبّله المؤمنون والكــافرون على السّــواء ، وطفقوا يفكّرون بالاســـتئثار به ، وقامتْ

عندها أوّل حروب البشر ، وسالتْ الدّماء ، واختلطتْ بالماء التـــي ابتلعها مولانا الماء مكرهًا ثم باتَ يشتهيها ، ويؤمّل نفسه بها.

(2)

عروس مولانا الماء

اعتاد مولانا الماء على ترياق الدّماء ، وباتَ يطالب بها أشدّ الطّلب ، ويغضب ويرعد ويزبد ويغور ويفور إذ ما حُرم منها ، فتجاهل طلبه الكفرة الملحدون ، في حين صار المؤمنون به أنّى طلب وفعل ينفّذون طلبه ، ويرضونه دون أن يسفكوا دماء الأبرياء ، فأطعموه في البداية أجساد المجرمين والشّاذين والخارجين عن جماعتهم ، ثم بعد أن نَفِدَ مخزونهم من المغضوب عليهم استسلموا للعجز ، فغضب مولانا الماء عليهم ، وأمر البّحار والأنهار أن تفيض وتغرق كلّ البّشر ، فلبّت البّحار والأنهار ما أُمرتْ به ، وصبَّتْ غضبها ابتداءً على الصّيادين المساكين الذين قلبتْ قواربهم ، وأغرقتهم في الماء ، وحاصرتْ رهطًا من النّاجين منهم في الجزر وعلى أعشاش السّواحل ، وهدّدتْ بإغراقهم والشّواطئ إن لم يُعطَ مولانا الماء بغيته من الدّماء ، جلّ البّشر في مدائن الحجارة لم يبالوا لا بغضب الماء ، ولا بغرق السّواحل ، ولا بموت الفقراء والصّيادين ، ولم يسعوا إلى استرضاء مولانا الماء ، فتقدّمت هي الحسناء السّمراء الحافية من مولانا الغاضب ، وعرضتْ عليه جسدها وروحها ودماءها مقابل أن يرحم والدها الصيّاد العجوز السّتيني ، ولا يغرق سنين شقائه في تلك الجزيرة القزم التي اعتصم بها ، فكّر مولانا الماء قليلاً ، ثم وافق على عرض السّمراء ،

فعروض النّساء الجميلات لا تُرفض ، وابتلعها بـــشهوةٍ ، وامـــتصّ دماءها حتى النّخاع ، ثم هدأ وركن إلى جلال صمته ، وفكّ حصاره المائي عن السّواحل والشواطئ والخلجان والجزر ، وعلتْ صفحات ماءه زهورًا بيضاء حزينة.

(3)

حوريّات الماء

آنس البشر من جديد إلى مولانا الماء ، وأمنوا غوائل غـضبه وثورة غضبه ، وأطلقوا اسم تلك الحسناء السّمراء على مئات مـن مولوداتهم ، وعدّوها الأم الكونيّة الأولى ، ورسموا صورتها علـى معابدهم وصوامعهم ، وأعلوا شأنها حتى أصبحتْ رمزًا للتّـضحية والفخار ، وحاكوا حولها القصص والخرافات والأساطير ، فتناقلهـا النّاس جيلاً بعد جيل ، واستمتع مولانا الماء بسماعها تُـروى علـى مسمعيّه مرّة تلو الأخرى ، بل حفظها ، وكان يرويها لنفـسه فـي خلواته ، ثم هيّجتْ رغبته الدّموية سكونه من جديد ، وأرعد وأزبـد من جديد ، وطالب من جديد بعـروسٍ بـشريّة تـزفّ إليـه ، وإلاّ فسيغرق البشر أجمعين والأرضين ، فخاف البّشر أيّمـا غـضب ، وسكنتهم ذلّة ، وأرهقتهم مسكنة ، فنزلوا على رغبة مولانا المـاء ، وزفّوا له عامًا إثر عام ، بعد أن أصبح غضبه موسميًّا دوريًّا ، أجمل نساءهم في أثوابٍ قشيبة ، واحتفالاتٍ بهيجة ، كان على النّساء فيهـا أن يبكين ويضحين ، وعلى الرّجال أن يرقصوا ويترنمّوا ويتغنـوا بالتّراتيل المقدّسة.

ونجح كاهن مولانا ماء في أن يقنع النّساء الأُضحيات بـأنّهن سيتحوّلن إلى حوريّات مائيات بديعات ، ينعمن بالسّـعادة وباللّهو بالمـاء دون أن يؤرّقهن غضـبه، وسـيحظين بشـباب خالد ،

وجمالٍ أبدي ، وفتنة منقطعة النّظير ، فصدّقن النّساء الأُضحيات بهذه الجنّة الموعودة مجبرات ، واستسلمن لقدرهنّ المشؤوم ، في حين ضحك مولانا الماء ساخرًا من خبث كاهنه الأكبر ، وقرّر أن يغرقه في أوّل فيضان ؛ لأنّه مقت خداعه ، فهو مازال يحمل بعضًا من صفاته الطّاهرة التي كان يملكها عندما كان سحابًا وغيومًا.

وهامتْ أرواح النّساء الأضحيات في البحار والأنهار ، وطاردن الرّجال في سفرهم ، وزيّنّ لهم المهالك ، وأفسدن عليهم عقولهم ، وأزغن قلوبهم ، وكثيرًا ما أسلمنهم إلى الموت غير آسفاتٍ ، فبات الرّجال يخشون حوريّات البحر ، ويحسدون مولانا الماء على استمتاعه بهنّ ، فانتفخت أردانه فخرًا برجولته المائيّة المزعومة ، وفكّر كثيرًا بصنع أعضاء جنسيّة رجوليّة ضخمة له ، لتلبّي أطماعه ، وتتناسب مع حسد الرّجال له.

(4)

عرّافة الماء

شعر مولانا الماء بالوحدة تقــرص قلبــه ، وتــدمي هيجانــه ،وطحنه اشتياقٌ إلى أنيسٍ يسامره ويداعبه ويهبه كلَّ جواهره وكنوزه ، ويبوّأه سدّة علیائه ، ومقتْ أن يكون شخصًا مــسروقًا أو أضــحية مجبرة ، وفي لحظــة حزنٍ وجوديّة عميقة أخلى مولانا الماء سراح أرواح أسيراته من النّساء ، وكفَّ عن فيضاناته الموسميّة ، وتراجع منسوبه في الأحواض حتى كاد يجفّ ، فأدركت العباد مشقّة ، وأحاط بهم القحــط ، وكادوا يهلكوا هم وزروعهم ، وتضرّعوا له بشــدّة ، ووعدوه بالنّساء الأضحيات ، لكنّه لم يبالِ بتضرعاتهم أو إغراءاتهم ، وصدّ عن سماع توسّلاتهم ، وزهد بنسائهم الأضــحيات إلــى أن قابلها في صومعة متنسّكة في قلب الصحراء ، كانــتْ كاهنــة فــي محراب عشقه ، عرّافة تسبر الماضي ، وتتنبّأ بالمستقبل بيسير مائه ، تقرع به الأقداح ، وترى في صفائه خطوط الزّمن ، عــشقته دون أن تراه ، وحملتّ لواء عبادته دون أن تدركه ، وبقيتْ عذراء تنتظرُ قدومه ليفترعها ، فقد قرأتْ ذلك في خطوط المــاء فــي أقــدامها ، عندما رأته أمامها بلججه وقسائمه وفوضاه أدركتْ أنّ الوقت حان ، لم تهمسْ بأيّ كلمة، اكتفتْ بابتسامة عميقة كأغواره ، وحزمتْ أشياءها القليلة وكؤوســها المجيدة بصمت،وتأبّطت ذراعه بعد أن همســتْ في أذنيه بكلمتين

سحريّتين ، ثم رحلتْ معه إلى الــسّواحل والــشطآن ، وأصــبحتْ زوجة مولانا الماء التي تحكم بالعدل إذا نام حبيبها الماء ، فتقصدها النّساء لتنصفهنّ ، فإنْ استيقظ مولاها الماء نامتْ هــي ، وتركــتْ اليابسة في عهدته يسقط عليها سخطه وغضبه أنّى شاء ، وكثيرًا ما كان يشاء.

وغدتْ آلهة الولادة والزيجات والولاء والعدل ، ورُفعتْ لهــا التّماثيل في كلّ الباحات وفي خدور النّساء ومخــادع المحظيّــات ، وتبرّكتْ بها النّساء ، وتبتلّن في دور عبادتها ، وجعلــن لهــا عيــدًا مقدّسًا اسمه عيد (سيّدة الماء).

(5)

تحوّلات السّيد

مولانا الماء كان ملولاً قلقًا هائجًا لا يفتر ، متوتّرًا لا يهدأ ، متطلّبًا لا يرضى ، وكانتْ نفسه تتبدّل مرة بعد أخرى وما كادتْ نفسه تأنس إلى زوجته العرّافة حتى عاد ونفر من أنسه ، واشتاقتْ نفسه من جديد إلى التمرّد والفيضان وتقبّل النّذور والقرابين والأضحيات الجميلات ، ولأنّ زوجته غيورة لا تقبل شريكة ، حقودة تجيد الانتقام لنفسها ، ولها عينان سحريّتان أهداهما لها يوم زفافهما ، تستطيع أن تراه عبرهما في سائر أرجاء المعمورة ، فقد اعتاد على التنكّر والتحوّل كي ينجح في التخفّي والعبث دون أن تنقمَ زوجته عليه ، ودون أن يُحرم من متعه الفاسدة ، وشهواته الشّبقة.

وإمعانًا في التخفّي والخداع فقد اعتاد على أن يستعير في كلِّ مرة جسدًا آدميّاً لإتمام مهمته ، وكان النّجاح حليفه في كلّ مرة ، فلم يكن من الصّعب أن يجد الفساد في أجساد الكثير من العامة والخاصة من سادة وعبيد وعلماء وجهلة وقادة ودهماء ورجال ونساء ، وبقدر ما كان يسعده عبثه ، بقدر ما كان يتقزّز من فساد البشر ، ويتقيّؤ طويلاً في مائه كلما عاد من لياليه الحمراء.

(6)

مذّكرات مولانا الماء

طوى مولانا حقبًا وأزمانًا ما عاد يستطيع أن يحصيها ، ولولا زوجته العرّافة لأخفق في أن يتذكّر كثيرًا من الأحداث والوقـائع ، وكثيرًا ما سخر من جهله ، فأنّى له أن يجهل مقدار الـزّمن وهـو الزّمن نفسه ؟!! فبه تأرّخ البدايات والنّهايات والأزمان ، وبأفعالـه تطرّز الأفكار والأحداث والأزمات ، وبرضاه يرتبط التفاؤل والخير ، وبمداده السّحري يدوّن التاريخ بعد أن اخترعتْ لهم زوجته العرّافة الكتابة والقراءة للبشر.

ولأنّ مولانا الماء ضاق قد ذرعًا بانحطاط البشر ، وملَّ تقيؤه المعتاد ، فقد قرّر أن ينقطع عن تحولاّته الشّقية ، وأن يعكف نفـسه على كتابة مذكراته ، واستعان بعرافةِ زوجته في سبيل تذكّر الكثيـر من أفعاله الماضية وأقواله البائدة.

من مذكرات مولانا الماء :

١-في زمن ما أصاب البشرَ جنونُ الماء ، فطفقوا يزبدون ويرعدون ، ويتمثّلون طباع مولانا الماء بالغضب والسّخط والظّلم.

-في لحظة تقزّزٍ قلب مولانا الماء الأرض بمدينة الماء التي عمّـت فيها أخلاقه الفاسدة، ومظالمه السّوداء.

-مناسك الماء هي السّبيل إلى التطهّر وإلى العودة إلى خلود المـاء المفقود حيث الصّفاء والإيمان والتطّهر.

– قطرة واحدة من عرق مُستعبَدٍ أو مسخّرٍ أو مستغَلٍ كافية لتعكير مياه البحار جمعاء.

–جميع أسفار المظلومين كُتبتْ بماء اللّعنة.

– مولانا الماء اعتاد على أن يسجن الثّوار خلف أسوار أمواجه إلى الأبد.

– في كلّ مرة أعدم فيها مولانا الماء ثائرًا على ظلمه كان يعود مرتعدًا ، ينام في كهف الخوف الذي يملكه في المجهول.

–السّاحرات أخذن من قبس العرّافة زوجة مولانا الماء ، ومن ماء لعنته ، وكتبن أسحارهنّ وتعاويذهن على ظهور السّلاحف المائيّة، وأطلقنها في البحار.

(7)
الطّوفان

من جديد عاودتْ مولانا الماء شهوة الدّماء ، وطالب من جديد بعروسه الآدميّة ، واختارها هذه المرّة بنفسه ، وكاد ينالهـــا ، لكـــنّ عاشقها الفضّي كان خصمه ، ومسافته الطويلة بعدًا عن عروســـه ، فضرب الشطآن دون رحمة ، وأغرق الـــبلاد والعبـــاد ، ومـــا لان المنتفضون ، ولا استسلم المتمرّدون ، وفي لحظة جنون ابتلع مولانا الماء اليابسة كلّها ، ففرّ البشر بسفينة من صنعهم ، وســـخروا مـــن جَوْرِ مولانا الماء ومن غضبه ، وتحدّوه ، وصـــمدوا حتـــى أوهـــاه التّعب ، ونام.

(8)

المدينة الفاضلة

نزل البشر الخارجون على مولانا الماء على أوّل يابسة طفتْ من قلب البحر ، وخطّوا على سطحها أوّل مدينـــة بـــشريّة تليـــدة ، وجعلوا العدل دستورًا لجديدهم ، واستكملوا البناء ، لكن الماء بقـــي فقيدهم وطلبتْهم ، ولم تظهر إلاّ عين ماء مريضة في قلب الجزيرة ، فبغاها الكلّ ، وعلى الماء كانت أوّل المعارك في العهـــد الجديـــد ، وعلى أطرافه هدمتْ أركان المدينة الفاضلة النّاشئة.

(9)

عام مولانا الماء

من جديد عادتْ الأزمان تؤرّخ بسيرة مولانا المـــاء ، وأدرك النّاس أنّ الأزمان تتشابه إن أُرّختْ بالماء ، فالماء متشابه في كـــلِّ مكان وزمان ، وحدهم الثائرون هم الذين لهم سير مختلفة ، ودروب شتّى ، ووجوه باسمة.

س.ص.ع لعبة الأقدام

س. ص. ع لعبة الأقدام *

" في لعبة الأقدام مسموح بكـــلّ شـــيء ، مـــسموحٌ بتعـــالي الضّحكات ، مسموح بتهادي الأجساد ، وبتعرّق الأيدان ، وبـــشهوة الغناء والسّخرية ، حتى أنّه مسموح بالارتداد إلى زمن الطّفولة ، أمّا فرحة لقاء الأقدام فممنوعةٌ ، وملعونةٌ ، وآثمٌ مَنْ يقتنصها أو يحترفها *"

* هي لعبة للفتيات في الأردن وفلسطين ، تمسك الفتيات فيها بأكف بعضهن ، ويدُرْنَ في حلقات بشكل دائري ، ومن يُداس على قدمها تخرج من اللعبة ، ويكون الفوز لآخر من تبقى في اللّعبة دون أن تُداس قدمها.

- في كلّ المتع هناك شيء ممنوع ملعون ؛ ولهذا هو مقدّس.

"**س**"

" **القدم العرجاء تهوى لعبة الأقدام أيضًا** "

لم تعرفْ يومًا معنى "س.ص.ع" التي كانتْ تلوكها ضحكات أترابها من صغيرات الحيّ ، وزميلات المدرسة ، كلّما شرعنَ يلعبنَ لعبة الأقدام المسكونة بدبيب الرّقص ، وأزيز التأرجح والتّضاحك والتّداعي ، ولا فكّت يومًا رموز هذه الحروف المتفلّتة من عقال الكلمات ، والمتحرّرة من رداء الجمل والمعاني المدركة ، ولا فهمت أيَّ علاقة تربطها بلعبة الأقدام التي تداعب صمت الأجساد ، فتهبها حركة لذيذة ، وتقافزًا مثل فراشاتٍ مزهوةٍ بربيعٍ غير آفلٍ. لكن ما تدركه بحزنٍ خرافي قديم كصخرةٍ مقدّسةٍ أنّ هذه الحروف دون غيرها من حروف كلام البشر قد ارتبطتْ عندها بالحرمان وبالعجز ، وبقدمها العرجاء على غير استحياءٍ ، إذ كانت قدمًا عرجاءَ بتبجحٍ تعجزُ عن أن تداريه ، فتجذبها بذلٍ نحو الأرض ، وتحني عمودها الفقري نحو معقل قِصَرِهَا ، وتبرز ردفيها الصغيرين باستسلامٍ كسيرٍ.

لم تحلم يومًا بقدمٍ تماثل قدمها السّليمة بالطّول والصّحة ، وتعفيها من ذلِّ العاهة ، وآفة التشوّه ؛ فهي لا تتمنّى المستحيل ، فقدمها العرجاء المتكوّرة عند الركبة هي هبة رحم أمّها منذ أن كانت ساكنته السّادسة بعد خمسة أخوة ، لكن "س.ص.ع" لعبة الأقدام هي من كانتْ حلمها ، لطالما أسندتْ ظهرها المقوّس إلى حائط

الحارة ، ذلك الحائط القديم الملوّث بصدأ القِدَم وعبارات النّسيان ، وأوساخ أخرى فقدتْ تاريخ واهبيها وأسماءهم ، تتلصّص طويلاً على الأيدي الصغيرة التي تمتدّ بعشوائية لتمتصّ بتعرّقٍ ثرٍّ أَكُفًا أخرى ، وترمي بأجسادها الغضّة الصغيرة المكسوة بأثواب الطفولة البريئة في دوائر الرّيح التي تشكّلها حركاتهّن البهيجة ، وتعلوها ضحكاتهنَّ التي تحجب قرع وجيب قلوبهنّ المشتعلة بحرارة اللّهو والتقافز ، والمتوقّدة بضربات أقدامهنّ بالأرض.

تتابع بأسىً صحراوي جافٍ يظمِئ روحها الصّغيرة كحفنة دقيق في كفيّ فقير خطواتهن الصّغيرة ، تتمنّى لو كانتْ قدمها العرجاء طائعة طيبةً كانكسارها ؛ لتتآمر معها على الظّفر بفرصة لعبٍ واحدة مع الصّغيراتِ ، وعلى فكٍّ أبجدية "س.ص.ع" لعبة الأقدام ، لكنّ بُعْدَ قدمها عن قلبها جعله يجهر بكلِّ الأمنياتِ المؤجّلة إلاّ أمنية قدمها العرجاء ، فقد ظلّت بكماء ، لا تلوي على لحظةٍ احتجاج أمنية مخنوقة.

عشرون عامًا من الانكسارات والأحزان وتاريخ مدمٍ من العرج يعلوه صوت خطواتها غير الرّتيبة التي تملك تتابعًا شاذًا ، ليس كسائر تتابع الخطوات السّويّة ، حتى ليكاد يكون بصمة مميزًا لشقائها مرّتْ ، لكنّها لم تنسها "س.ص.ع" لعبة الأقدام التي توارثتها طفلات حيّها الشّعبيّ القديم الرّابض على حدود أحياء من هم أقلُّ من سكان حيّها بؤسًا وانغماسًا في العمل المضني ليل نهار.

كلُّ الأصوات عندها تتماثل وتتداخل ثم تتلاشى إلا أصـــوات ضحكات الصّغيرات المتوّجة بـِ "س.ص.ع" التي لم ترحل مع ذلك الزّمن الرّاحل دون استئذان ، واسمه سنوات الطّفولة وبواكير الصّبا. تخشى الزّوج الطّيب بقوة الفقر ، وتخشى الهروب من مسكنٍ قـــديمٍ اسمه بيت ، وتتفقّد أقدام صغارها في لحظة ولادتهم ؛ للتتمّ علـــى أقدامهم السليمة ؛ إذ ترعبها حدّ التلاشي فكرة الأقـــدام القـــصيرة ، والخطوات العرجاء ، وتفرح أيّما فرح عندما يمشي أطفالها خطواتهم الأولى بلا حزنٍ شفيفٍ اسمه عرج.

تقطع الحارة يوميًا ذهابًا وإيابًا ، تتمنّى أشياء ، وتسبّ أخرى ، ثم تنسى ما تمنّت وما سبّت ، إلاّ لعبة الأقدام فهي لا تنساها ؛ فهـــي ظلّها الحزين في منحنيات القلب ، " كم ستكون الحياة أجمل لو أنّني حظيتُ ولو مرةً واحدةً بلعبة "س.ص.ع" . تحدّث نفسها بوجلٍ ، ثـــم تزرع ابتسامة ممطوطة على صفحة وجهها ، تتنحنح بزفيرٍ شديد ، وكأنّها تسحق أمنيتها القلقة ، ثم تتابع طريقها بعينين زائغتـــين فـــي زقاق الحيّ الجنوبي حيث متعة لَعِبِ "س.ص.ع".

"ص"

" **الضّفائر السّوداء تتقن لعبة الأقدام** "

ضفيرتاها السّوداوتان تداعبان وجهها القمريّ الملبّد بغيوم حمرة وجنتيها ، وتتزلقان بشبقٍ خرافي على ردفيها الصّغيرين ، وتلمسانه باضرابِ دافئٍ ، ثم تحملان اهتزازه الطّفولي غير المثقل باكتناز الأنوثة الكاملة بعد ، هما رفيف قلبه ، وحلواء روحه ، الزّمن عندما تبدأ لعبتها مع طفلات الحيّ يتوقّف تمامًا ، تغيبُ اللّحظات ، ويُضبطُ الطّقس على دقّاتِ قلبه المثخن بعشقهِ الغضّ ، وتتسع حدقتا عينيه حتى تكادا تبتلعا رذاذ ضحكاتها ، وتقرشا جنون ضفيرتيها السّوداوتين ككحلِ آلة جمالٍ فينيفية ، لا يعرف الكثير من كلماتِ العشق ، وتخونه الكلمات ، وتذلّه ملابسهُ القديمة المنكودة بطلاء السّيارات ، وسخام العوادم ، وشحوم المكابح ، فينكسر بين سيارات المرآب المعطّلة حيث يتعلّم مهنة عمه كافل فقره ويتمه ، يراقبها ليل نهار ، ويلعقُ جمالها عن جدران قلقِ فرحه الطّفولي في لحظات مراقبتها وهي تلعب "س.ص.ع" ، فيتمنّى عندئذٍ من صميم قلبه الصّغير لو كان يملك يدين نظيفتين لا تجلدهما قاذورات المحرّكات، ولو كانتْ لعبة حبيبته القمرية الصغيرة ليست عنصريّة ، ومتحيّزة للفتيات ضد الصّبية ، إذن لكان أوّل من يغزو حلقات اللّعب على صهوة اشتياقه ، ويحتلَّ كفّ إحدى يديها ، ويلاحق بقدمه قدمها التي تحنُّ بطفولة ليست بريئة ، وإن لم تكن مدنّسة إلى

معانقة قدمها ، ووطئها بخفةٍ لتصبَّ فيها حرارة فرحته بها ، لكنّه – وألف حسرة – صبيٌّ يتيم مأسورٌ لعمّه ، وهي فتاة جميلة بثوبٍ أبيضَ نظيفٍ ، ووجه قمرّي مقدّس ، وضفيرتين سوداوين كحبر قصيدة مجيدة على جدار قلبه ، إذنٍ فليصمتْ ويراقبها ليل نهار دون كلام ، وليتحسّر ما شاء على ضفيرتيها المزّهوتين بثوب الزّفاف وبيديّ رجلٍ ببذلة أنيقة تفكّهما ، وتسدلهما باشتهاء قرمٍ على ثوبها الأبيض وجسدها العاري ، لتنجب له بعد أشهرٍ قليلة فتاةً بوجهٍ كوجه والدها ، حيث رحل القمر ، ولكن بضفيرتين سوداوتين تعشقان أيضًا لعبة "س.ص.ع".

بقوة محرّك قديم سارتْ حياته الرّتيبة ، وحسبه تاريخ حمارٍ بشريّ دأبه العمل والكدّ دون تذمّر أو شكوى ، عنده ثلاثة أبناء ذكور ، وابنة واحدة ، لا شمسيّة ولا قمريّة ، وليس لها ضفيرتان ، لذا فمن حقه أن يراقب بحسرةٍ دفينة في عميق أشواقه ابنة المرأة التي أحبَّ دون أن تعرف ، وانغرستْ في سويداء قلبه طفلةً صغيرةً تقهقه ببراءة ، وهي تلعب لعبتها التي تتقنها ، ولا تسمح لأيّ صغيرة تلهو معها في اللّعبة بأن تدوس قدمها ، وتبقى محلّقةً في سماء دوائر الرّيح ، مشرّعةً ضفيرتيها دون قصدٍ لطفلٍ يتيمٍ لا يجيدُ اقتناص الكلماتِ.

"ع"

" **عليكَ أن تحضر جسدكَ معكَ كي تلعبَ لعبةَ الأقدامِ** "

اعتادتْ منذ أنْ كانت طفلةً على أنَّ تجدلَ الخـــرز الملـــوّن مـــع ضفيرتيها السّوداوتين ، ثم غدت تجدلُ معهما حليب أمومتها المتدفّقة وخلجاتِ قلبها المتوثّبة أبدًا لسعادةٍ آدميةٍ اسمها ابنتها الصّغيرة ، ثـــم جدّلتْ الأحزان مع ضفيرتيها بعد أن خطف الموت صغيرتها ، وولّى هاربًا بها نحو مملكته المظلمة ، وهي تخـــشى الظّـــلام ، وتخـــشى كائنات الموت ، وتخشى كذلك ذلك الصّمت المطبـــق الـــذي اســـمه الموت ، لذلك فقد آثرت أن تسلم نفسها لحزنٍ أبديّ وجنـــون دوريّ اسمه طيف ابنتها الحبيبة التي كانت حديثةُ عهدٍ بمتع الطّفولة واللّهو عندما انضمّت إلى لعبة "س.ص.ع" ، يومها لعبتْ معها لأوّل مـــرة في الشّارع مع الصّغيرات ،ودفعتها بحنوٍ نحـــو الأكـــفّ الـــصغيرة النّاعمة ، ودوائر الرّيح والتّراقص ، وجعلتْ من حرفة مراقبتها من شرفة منزلها متعةً لروحها ، وكادت تفكر بأنْ تنقلَ الفتيات واللّعبـــة والشّارع إلى بيتها كي تكونَ ابنتها في أمان ، لكنّ "س.ص.ع" هي لعبة الحارات والأزقّة ، ولا يمكن أن تُدجّنَ فـــي بيـــوتٍ مطبقة الأبواب ، مغلقة النوافذ ، ولذا فقد سهل على الموت أن

يسرقَ ابنتها ، وأن يطعمها بشرهٍ لسيّارة مسرعة مرّت من زقاق الحيّ ، واقتاتتْ جسد طفلتين ، ابنتها كانت إحداهما.

ورحل الموت بردائه الجنائزيّ المقيت ، وأَسَرَ ابنتها في مملكته السّوداء ، وبقيتْ هي ربيبة الأحلام وطيف ابنتها المتفلّت من عالمه السّفلي ، والمولع بلعبة الأقدام على الرّغم من ضبابيته العاجزة حتى عن ضمِّ كفٍّ صغيرة تلعب.

تصمّم أحيانًا على مداعبةِ طيفِ ابنتها ، وتقحمُ نفسها في حلقاتِ لعبِ الصّغيرات ، وتُحادث الطّيف بانكسارٍ ، فترهبُ الصّغيرات ، فيهربن جزعات ، وتحوقل أمهاتهنَّ ؛ إذ يشفقن على جارتهنَّ الشّابة التي يداهمها الجنون من حينٍ إلى آخر كلما سمعت أزيز لعبة "س.ص.ع" ، في حين تصمّم الصغيرات على ممارسة لعبتهنّ المفضّلة غير آبهاتٍ بجنون أمٍ خسرتْ وحيدتها لأجلِ لعبةٍ أقدامٍ.

" لعبة الأقدام "

" من حقِّ الأقدام أن تتمرّد على الأعراف والعادات والأحزانِ "

كان يومًا ماطرًا ومشمسًا وغائمًا ومرعدًا ، وقائضًا وممطـــرًا ومثلجًا ، وتجتاحه عواصف ورمال صحراويّة ، بالتحديد كان يومًـــا عاديًا ، ليس من بصمةِ طقسٍ مميّزٍ تعلوه ، ولذا فقد سَهُل أن يـــسقطَ من حسبان ثلاثتهم ، إذا كان فيه بذرة جنون ، وعوالق تمرّد ، وحفنةٍ من أحزانٍ متدفّقةٍ ، فكان حريّ به أن يجمع ثلاثـــتهم دون ترتيـــب معلن في ذلك الزقاق ، كانت العرجاء حينئذٍ عائدةً من عملهـــا فـــي دورته الصّباحيّة من المستشفى ، وكانتْ المجنونة ذات الـــضفيرتين السّوداوين تلاحق طيف ابنتها الذي يكاد يغشى بفرح طفوليٍّ يهـــزأُ بالموت حلقة الأيدي الصّغيرة النّاعمة ، أمّا هو فكان يراقب مجنونته الفاتنة ، التي غدا الجنون برزخٌ يفصله عنها ما شاء لعمريهمـــا أن يمتدّا.

ثلاثتهم كان مشغول بشاغله ، وبأصوات الضّحكات ، وبترنيمه "س.ص.ع" السّحريّة التي تضجّ بحرارة الزّقاق ، والأقدام الصّغيرة الرّاقصة تعفر ترابه المزّ ، وتهيّج غبـــاره المنتن ، الطّيف أوّل مَنْ دلفَ إلى حلقة اللّعب ، ثم داهمتْ الأم المجنونـــة الحلقـــة لتحـــضنَ الطيف الشّقي ، فَعَلَتْ الصغيرات همهمةٌ ثم زمجرةٌ ، ثم هـــربنَ لا يلوين على شـــــيءٍ ، فوقفتْ الأمّ كســـيرة تمدّ يديها إلى العـــدم ،

حين يقف هو بكرشه الذي نما بتغوّلٍ في السّنوات القليلة المنصرمة ، وبحزنه الذي شاخَ ، وما شاختْ صبوته ، ولا غادرته فتاة قلبه ذات الضفيرتين السّوداوتين.

اقتربَ منها ، لأوّل مرة في حياتها تلمح كلام عينيه " أكانَ يحتاج إلى جنونها حتى تسمعَ حنينه وتقرأَ أشواقه ؟". حدّث دهشة عينيها بصمت.

هذه فرصته ليلاعبها ويراقصها ويدفن كفها في كفه ولو لمرة واحدة في حياته ، مدّ كفّه بانكسار شحّاذ حافٍ ، فألقمته كفّها برضا كليمٍ يمدُّ جرحه لآسٍ ، وبقيتْ اللّعبة ناقصة ، تحتاج إلى ثالث – على الأقل – لتبدأَ.

العرجاءُ بصليل حذائها المقوّم لقدمها العرجاء كانت ذلك الثالث الذي وهبه القدر في لحظة تساهلٍ نادرة ، تعانقتْ الأكفُّ السّتة ، وبدأتْ رقصة لعبة "س.ص.ع" ، العيون كانتْ مشرقةً كنوافذ قمريّة ، والرّقابُ مشرئبّة ، والأرواح معلّقة في عرش السّعادة. رقص ثلاثتهم كما لم يرقصوا يومًا ، وعلتْ أصواتهم وهم يردّدون بفرحٍ مستحيل مداهمٍ : "س.ص.ع لعبة الأقدام".

وغشيتهم بركات لعبتهم السّحريّة ، وساحوا في دنيا النّور والطّفولة والأقدام المنكودة ، وفرحوا كما لم يفرحوا يومًا ، في حين بكى كثيرٌ من سكان الحيّ من لعنة الجنون التي أصابت ثلاثة أشَخاص طيبين من خيار أهل الحيّ ، وحرّمت الأمهات لعبة

"س.ص.ع" على بناتهم ، إذ بِتْنَ يتشاءمنَ من هذه اللّعبة اللّعنة التـــي تسكن الأقدام ، وتأكل القلوب.

سِفْر البرزخ

سِفْر البرزخ

" هــذا ما وُجِــدَ منقوشًا بالخطّ السّماويّ اللازورديّ الفــاقع علــى جــدار البّوابة العُظمــى في البرزخ " •

• تحقيق وشرح العلاّمة " دام الدّهر سلمان " ، المخطوطة الوحيدة " تصنيف س م " من متحف " التاريخ المقدّس " في س.

" قصة الخلاص الأُولى "
(من صفر إلى ...)

قرّر الإله العظيم من فوق عرشه الخالد أن يخلق كائناً جديـدًا ليعبده ، فخلق آدم من أديم الأرض ، ثم خلق من ضلعه زوجه حواء ، وكانتْ الخطيئة البشريّة الأولى ، وكان رحيل آدم وحـواء إلـى الأرض ، التي هي صورة عن الجنّة ، الخير فيها في كلّ مكـان ، وعين الله ترعاها ، ويدركها تسبيح الملائكـة ، وتكـاثر أبنـاء آدم وحواء بالزوّاج وبالسّفاح ، ولسبب غير محدّد ظهر عتـاة بقـرون ذهبية ، وأجساد بشريّة وسياط قويةٍ ظالمةٍ على باقي البشر ، فكانوا ساداتهم وملوكهم ، ومنذ تلك اللحظة تفرّق الأخـوة فـي الأرض ، فكان لبعضهم ريش النّعام للنّوم ، وغلائل الحرير للبس ، وجـواهر الموجودات ونفائس الكائنات والحجارة للزّينة والتطيّب ، وقـصور مشيّدة ، وجوارٍ حسان ، ولذيذ المأكل والمشرب ، وبقوة ما كان لهم السّلطان على باقي إخوانهم المستضعفين من أبناء آدم الذين أنكـروا نسبهم،ونسبوهم إلى الـشّيطان أو الحيـوان أو المجهول،واتخـذوهم عبيدًا، يسومونهم سوء العذاب،وكاد العبيـد أن يستـسلموا لقـدرهم المنكود،ويقرّوا بأصلهم الشّيطانيّ،وينسوا رسالة والدهم آدم، وترنيمة أمهم حواء،ثم شُقّ نورٌ تشكّل على شكل إنسـان يقودهم إلى النّور ،

ويعلمّهم أنّهم مستخلفون في الأرض ، لا عبيد عند عبيد الله ، فكـــان الغضب ، وكانت الثّورة ، التي عصفتْ بقلوب العبيد ، وملأتها بنورٍ سماويّ عجيبٍ ، انتفضتْ عليه آلاتُ العذاب ، وجماعاتُ الظـــلام ، وكانتْ حربًا عظيمة ، انتصر فيها نور الكلمة ، وسقطتْ فيها الأوثان والجبابرة العُتاة ، وسُجّل فيها أسماء المبشرين بعهد النّـــور ورضـــا الرّب في سِفْرٍ من زبرجد عُلّقَ ما بين السّماء والأرضِ على بوابـــة البرزخ ، وكان الفصل بين الموت والحياة ، والهدايـــة والـــضلال ، والمُستَعبَدين ، والظّلم والعـــدل ، وردّدت السّماء : " إنّ الله جعـــل الظلم محرّمًا على نفسه " ، فردّدت الأرض : " الحرّية طريق العباد إلى الله ".

" قصة الخلاص الأخيرة "

(من ... إلى صفر)

ردّدتْ الأرض : " الحرّية طريق العباد إلـــى الله " ، وردّدت السّماء : " إنّ الله جعل الظلم محرّمًا على نفسه " هذه هـــي الكلمات الفصل في سِفْر المبشرين بعهد النّور ورضا الرّب ، الذي علّق مـــا بين السّماء والأرض على بوابة البرزخ ، فكان الفصل بين المـــوت والحياة ، والهداية والضّلال ، والمستعبَدين والمستعبِدِين ، وذلك بعد حرب عظيمة ، انتصر فيها نور الكلمة ، وســـقطت فيهـــا الأوثـــان والجبابرة العُتاة ، في إِثْرِ ثورة العبيد ، التـــي عـــصفتْ بقلـــوبهم ، وملأتْ الأرض بنورٍ سماويٍّ عجيبٍ ، انتفضتْ عليه آلاتُ العذاب ، وجماعات الظّلام ، بعد أن شُقّ نورٌ تشكّل على شكل إنـــسان يقـــود العبيد إلى النّور ، ويعلّمهم أنّهم مستخلفون في الأرض ، لا عبيد عند عبيد الله ، الذين أنكروا نسبهم ، ونسبوهم إلى الشّيطان أو الحيوان أو المجهول ، واتخذوهم عبيدًا يسومونهم سوء العذاب.

وكاد العبيد أن يستسلموا لقدرهم المنكود ، ويقـــرّوا بنـــسبهم الشّيطاني ، وينسوا رسالة والدهم آدم ، وترنيمة أمهم حواء ، علـــى أيدي أخوتهم السّادة الذين كان لهم ريش النّعـــام للنـــوّم ، وغلائـــل الحرير للبّس ، وجواهر الموجـــودات ونفائـــس الكائنات والحجارة

للزّينة والتطيّب ، وقصور مشيّدة ، وجوار حِسان ، وطيب المأكل والمشرب ، وبقوة ما كان لهم السّلطان على باقي أخوتهم المستضعفين من أبناء آدم ، الذين تفرّقوا في الأرض ، وظهر فيهم عتاةٌ من صلب آدم بقرونٍ ذهبيةٍ ، وأجسادٍ بشرية ، وسياطٍ مؤلمة ظالمة ، وذلك بعد أن هبط آدم وحواء إلى الأرض التي كانت صورة عن الجّنة ، الخير فيها في كلّ مكان ، وعين الله ترعاها ، ويدركها تسبيح الملائكة ، فتكاثر أبناء آدم وحواء بالزّواج والسّفاح ؛ بعد أن خُلق آدم من أديم الأرض ، وخلق له زوجه اسمها حواء من ضلعه ، تنفيذًا لقرار الإله العظيم من فوق عرشه الخالد في أن يخلق كائنًا جديدًا ليعبده ، ثم كانت الخطيئة البشرية الأولى !!!●

• هوامش المخطوطة :-

1-القصة الأولى مكتوبة بخط سماويّ مجهول.

4-القصة الأخيرة مكتوبة بكلّ اللّغات البشرية ، ومؤرّخ بها تاريخ صراع البشرية وثوراته.

3-القصتان إحداهما أصل للأخرى ، والله أعلم.

4-هذا ما هدى الله عبده الفقير إليه " دام الدّهر سلمان " في زمن ما.

المفصّل في تاريخ ابن مهزوم
وما جادَتْ به العلوم

المفصّل في تاريخ ابن مهزوم وما جادَتْ به العلوم

" التاريـــخ يكتبه المنتصرون ، وأنا منتصر بمعنىً مـــا ، إذن مـــن حقي أن أكتب التاريخ كما أشاء ، وها قد شئتُ " •

• من خربشات ابن مهزوم نزيل رقم (٦) ، عنبر الحالات الخطرة في مستشفى الأمراض العقليّة والعصبيّة هنا أو هناك.

سناء كامل أحمد شعلان

(1)
" ابن زُريق لم يمتْ "

جلسَ بفخرٍ متعالٍ لا يناسب إخفاقاته المتكرّرة التي كبدّته خسائر جسيمة بالتّرقيات وساعات عمل إضافية مجانية حدّ تسلّخ إبطيه ، وتعفّن أصابع قدميه في حذائه الرّسميّ العتيد ، ولكن هذه هي لحظة الانتصار المنتظرة ، رقصّ رجلاً فوق رجل ، وقال بثقةٍ فضفاضةٍ تناسب ابتسامة شدقيه : " هذا هو الدّليل " زفع المدير حاجبيه ثم قطبهما دون مبالاةٍ ، وقال : " الدليل على ماذا ؟ " قال باعتزاز من حلّق فوق سوامق الجبال ووطئ الغيوم بقدميه : " الدليل على أنّ ابن زريق لم يمت ".

هزّ المدير رأسه ، وطوّح كتفيه كناية عن أمرٍ لم يفهمه الموظّف ، وقال : " من هو ابن زريق هذا ؟ "

" صاحب القصيدة العينيّة الشّهيرة ".

" أيّ عينّية ؟ ". سأل المدير بصبر فارغ وتقزّزٍ.

أجاب الموظّف بحماس طفلٍ مدرسيّ ، وانتصب على قدميه ، وضمّ فخداً إلى الآخر ، وشدّ معدته بزفير عميق ، وقال جاحظ العينين يبذل جهدًا كي لا ينسى ما حفظ :

الذي قال :

" لا تعذليه إنّ العذل يولعه

قد قلتِ حقًا و لكن ليــس يسمعه

جاوزتِ في لومه حدًّا أضرّ

به من حيث قدّرتْ أنّ اللوم ينفعه

فاستعملي الرّفق في تأنيبه بدلاً

من لومه فهو مُضنى القلب موجعه "

قال المدير باستهزاء بادٍ : " وماذا قال أيضًا ؟ "

قال :

" وإنْ تنلْ أحدًا منا منيته

فما الذي بقضاء الله نصنعه "

نقر المدير بأصابعه ذات الأصابع الشّجريّة السّمينة على زجاج مكتبه ، وقــال : " كفاك يا رجل : مَنْ هو ابن زريق هذا ؟ "

" هو ابن زريق البغدادي ؟ "

سأل المدير وهو يراود غضبًا يكاد يسحقه. " ومن هو ابــن زريــق البغدادي هذا ؟ أهو عميل عندنا أم موظّف ؟ تكلّم ســريعًا لا وقــت عندي أبدّده عليك وعليه ".

قهقه الموظّف قهقهة مصنوعة بدقة ، وقال : " بل هو لص كبيــر ، أراد أن يخدعنا ، بل ويخدع كلّ النّاس والتّاريخ والــشّعر الجميــل وآلاف العصافير ، وجعل من القصيدة التي أسمعتكَ مطلعها طريقه إلى ذلك ، لقد أثبتتْ تحرياتي السّريّة أنّه كان شاعرًا مغمورًا وعاشقًا لعوبًا وتاجرًا فاشلاً في بغداد ،وبعد تحريرها على أيدي أمريكا

الفاتحة بعد قرون من احتلال العراقيين لها قرّر أن يركب الموجة ، ويخدع الجميع ، ويستغلنا نحن الأمريكيين الطيبين ، أمّن على حياته في فرع شركتنا في دارفور ، ثم تسلّل بشكل غير شرعي إلى إسبانيا ، وادّعى أنّها الأندلس ، وموطن الأجداد العرب ، وأعدّ العدّة ، وكتب هذه القصيدة المسروقة من متحف اللّوفر منذ وفاة صموئيل شامير الذي كتبها عن معاناة شعبه إبّان محارق النازيين له ، ومثّل دور الميت حزنًا وكمدًا وهمًا ، ودُفن في فناءٍ مجهول ، ثم جاءت زوجته اللّئيمة لتطالب بقيمة التّأمين على حياته بعد أن نشرتْ قصيدته المسروقة على الإنترنت ، فتغنّى بها العرب ، وطربتْ لها رمال الصحراء ، وسار بها الحداة وعازفو الربّابة. وللحقّ كادتْ تخدعنا ، وتحصل على التأمين لتسعد به وذلك اللئيم ، لكن ذكائي بل وخبثي وأنفي الحسّاس لكلّ خداع كشف حيلته ، وعرف أنّ موته ليس أكثر من إقامة مشروطة في القبر إلى حين انتهاء مدة عقوبة فقره ، وأنّ زوجته اللئيمة بدأت تخيط من خوص دجلة والفرات غيومًا متلبّدة ، وكدت أسمع صريخ الرّعد ، وأرى وهج البرق ، لكن في اللّحظة المناسبة اسيقظ صموئيل من قبره ، وأعلن ملكيته للعينيّة ، وفضح أكاذيب ابن زريق ذلك الأعرابي الجلف السّارق ، عندها قبضتُ بمساعدة قوات التّحرير الأمريكيّة على ابن زريق متلبسًا بالموت في قبره ، وألزمناه بالغرامات ، وحرّمنا عليه قول كلمة " علوج " ، وإلى الأبد.

صمتْ الموظّف ليرى أثر كلامه على وجه مديره الذي راعه مــدى الشبه بين قسماته وأحافير وجه خنزيره " بولي " ثم ازدرد ريقــه ، وأخذ جرعة ماء من كأسٍ أمامه.

فانتهره المدير قائلاً بتوتر : " ثم ماذا حدث ؟ بــدأت أُعجــبُ بــكَ الموظف الذّكي ".

استأنف الموظف بكبرٍ لا يليق بصفرته الشّاحبة : " ثم استصدرتُ قرارًا قانونيًا عاجلاً نظرًا لمدى تضرّر الــشّاعر الملهــم صــموئيل واستياء قبيلته التائهة في ضفاف بلاد البحيرات بإعدام ابــن زريــق بقصيدته ".

" وهل أُعدم بحق ؟ "

" نعم ، بالتأكيد ".

" أحسنت وماذا بعد ؟ "

" استرددتُ من ورثته مال التأمين ، علمًا بأنّنا لم نكن قد دفعناه لهــم أصلاً ".

" رائع. ومن دفعه ؟ "

" دفعه كلّ عربيّ أحمق حفظ عينيته المسروقة ".

" رائع !!! وماذا بعد ؟ "

" وردتني آلاف التقاريــر من مصادر موثوقــة تُفيد بأنّ ابن زريق بحق هذه المــرة لم يمت !!! "

(2)
شهريار يتوب

كانتْ غلطة كبيرة جعلت شهريار يدفع سمعته ثمناً لها ، بل ويــدفع ألف ليلة وليلة من السّهر المضني والمتواصل محبوسًا مع نزير الماء والطعام في مخدعه السّلطاني الذي يحرسه السيّاف المرتــشي مــع زوجته الثرثارة شهرزاد ، ولولا ستر الله ، ودفعه الفتنة بالحكمــة ، والتمرّد بالحلم ، لكــان رأسه الآن متدحرجًا بعيــدًا عــن جــسده ، وملقىً عند قدمي زوجته الغيورة الثرثارة شهرزاد ، وما أبعده مــن اســم عن ودّ قلبه !! فما هو إلا اختزال لكلمتي " شرّ " و " زاد " ، فهي الشرّ كلّه قد زاد عن حدّه ، وتوّج قباحة خلقتها وسوء معشرها ، وقاتل الله الطّمع ، فلولا طمع شهريار بالمال المزعوم للوزير عفّار والد شهرزاد ، لما كان متورطًا بها الآن ، ولكان حظّه من المتعــة مع جواريه الألف عوضًا له عن كلّ المال والسّلطان ، ولكن الطّمع ضرّ ما نفع ، وفرّق ما جمع ؛ فالكوارث تهلكه ، ويبقى القرد فــي وجه صاحبــه الطمّاع ، وها هي القردة شهرزاد في وجهه.

تستطيع شهرزاد أن تلفّق آلاف القصص والأكاذيب عن جمالها المزعوم وثقافتها الواسعة وحكمتها المنشودة ، ولكنّ المرايا لا شــكّ ستفضح كذبها ، والجهل سيضع حدًّا لأكاذيبها ، ولولا ذكاؤها الذي يشـــــهد به شهريار ، ويعضّ عليه النواجذ لكانتْ الآن نســيًا منسيًا

كما هو الآن في قصره وفي سلطنته منسيًا وألعوبةً في يديّ زوجته المخادعة.

منذ أن انتهتْ الليالي الألف التي منعته شهرزاد من النّوم فيها ، وأقامت عليه الحرس والعيون ، وألزمته بالاستيقاظ والسّماع إلى حديثها المقيت دون انقطاع ، وإلاّ فرأسه الملكي النبيل سيكون ثمنًا لعصيانه الوحيد لزوجته ، وهو يعاني من أرقٍ ملازم ، وتعجز أقراص النّوم وأقراص المهدّئ عن أن تدفعه إلى مدينة النّوم. وها هي شهرزاد تغّط في النّوم هانئة سعيدة بعد أن تمّ لها كلّ ما شاءت ، وملأت الدّنيا قصصًا وأكاذيبًا ، وجعلته أضحوكة وألعوبة ، ورسمته في أذهان العامة على هيئة السّفاح الدّموي الجاهل المغرور ، وها هو الآن يساهر نجوم السّماء ، ويتميّز غيظًا بسبب ديك الصباح اللئيم الذي يذكّره بمعاناته اللّيلية الألفيّة ، ويذكره بخطيئته الكبرى المدّعاة التي ساقتْ البلاءَ إليه.

كان يومًا شمسيًّا قائظًا عندما دخل عليه نخّاس القصر اليهوديّ يزفّ إليه جارية فُلقتْ من القمر في ليلة اكتماله في ليلة صيفيّة ، جمالها أطار لُبّه ، واشتراها بألف ألف درهم ، وما كان ذلك بالكثير إذا ما قُورن بجمالها وسحرها وأنوثتها ، وقد أمل في أن يجد في جوارها السّعادة التي رحلت عن حياته منذ أن دخلت شهرزاد مخدعه،ودستّ أنفها الكبير المقوّس كأنف صقر في شؤونه وشؤون دولته،ولكن الويل كان في حضورها ، فما كادتْ عينا

شهرزاد تدركانها ، حتى جــنّ جنونها ، وأصابها هوس القــرود ، وإلحاح البراغيث والقمل والبقّ ، واتهمته بالسّفاهة ، وتبديد أمــوال المسلمين ، وحجرتْ عليه ، وأغلقتْ يديها دونه ، وكادتْ للجارية ، وأودعتها الأرض حيّة في صندوق خشبي مغلق ، الــشّيطان نفــسه يعجز عن فتحه ، ومن ليلتها كان البلاء ، فقــد شرعتْ شهرزاد في ثرثرتها التي امتدتْ ألف ليلة ، وغلّقتْ الأبواب ، وخلعتْ ستر الحياء ، وطفقتْ في حكايــا وألغاز وعبرَ ، تذكّره بها بكلّ خطايا البشر ، وتصفه بكلّ نواقصهم ، وتضرب له الحكم ، وتجسّد له الشَّر كلّه في جاريته الدّفينة حيّة ، وتلومه وتقرّعه وتبكي وتنتحب وترقص وتقفز وتستلقي وتكسّر وتتوعّد وتسبّ وتشتم وتعضّ وتضرب بالقبقــاب ، وبعد ذلك ليس في يديّ شهريار المسكين إلا أن يستسلم ،ويتوب عن خطيئته ، ويستجدي شهرزاد المغفرة ، ويضرب رأسه بنعليه نــدمًا على ما أخطأ وفرّط ، ويخلص إلى حكمة مفادهــا : " حمــارٌ مــن يتزوّج امرأة ثرثارة غيورة وقبيحة كشهرزاد لا سيما إن كانتْ تجيدْ نسج القصصْ " •.

• وأدرك شهريار الصّباح ، فسكتَ مجبراً عن الكلام المُباح ، وطُلب له الدفاع المدني لينقله إلى مستشفى السّلطنة في حالة إنهيار عصبي حادّ.

(3)
جالاتيا مرة أخرى

أخــذ بجماليون نفسًا عميقًا بقدر ذلك الغور المظلم في أشجان روحه التي أوهاها الغدر ، وأضناها الشّوق إلى امرأة تعــشق فنّــه العظيم ، وتقدّر أنامله السّماويّة القادرة على حفر البشر في الصّخر ، والتّغنّي بأنّه أمهر نحّــاتٍ في الدنيا ، والتّغاضي عن عيبه الوحيــد والخطير ، فما قيمة فحولةٍ منشودة سرعان ما يبددها الكبر أو يبريها المرض والجوع والتعب أمام موهبته النّادرة كقطرة عسل في جوف نملة. والسّامية كدمعة إله إغريقي نبيل ؟ لكن النّساء الحمقــاوات لا سيما الجميلات منهن قد آثرن عضوًا شبقًا رشيقًا على موهبته الخالدة ، وزهدن به وبكلّ ما صنعت يداه هبتا الإله زيــوس. وقــد عــضّ طويلاً على ألمه وجوعه الجسدي المستبّد بكبريائه المكلوم ، ورضاه المصنوع من الحجر الصلد ، ولكن حنقه قد كــاد يفتّــت روحــه ، ويطيّر النّور المقدّس لإبداعه ، وما وجد سبيلاً لكي يزفر غضبه خلا أن ينحت بيديه حنقه على نساء الدّنيا جميعهن على شــكل تمثــالاً ، يحوي كلّ نقائص المرأة ، ويتمثّل كلّ عيوبها الجسدية ، ويستحضر فيها كلّ ما يُنفّر ويقزّز ، ويزهّد حثالة الرجال وعفــونتهم بامرأتــه التّمثال المسخ.

وها قد انتهى من تمثاله الأمثولة ، الذي نحته عاريًا ، تفــوح منــه رائحة صنان إبطيه وبوله إذ تبوّل عليه كثيرًا انتقامًا منــه لعــضوه المهزوم. وها هو غضبه أمامه امرأة صخرية عرجاء كتعاء عوراء سمينة ، بجلد قشرّي مشوّه ، وشعر قنفذي متراجــع حتــى نــصف الجمجمة ، وبأذن واحدة مشروخة ، وأنف مجــدوع ، وفــم مهــشم الأسنان ، ممزّق الحنايا والثنايا ، وبنظرة عميقة فيها رعب عجيــب كأنّه حُفر بإبرة في بؤبؤ لين ساعة ظلمة روح أبديّة.

أنعم بجماليون النّظر طويلاً في تمثاله الانتقام ، ثم تنهّد بعمق أوهى خلجات روحه المعذّبة بآلام الثأر وويلات سوء العمل ، وغالب ندمًا جارفًا في نفسه ، فغلبه ، ثم لعن بقوة فتنــة النّــساء ، وربّــة جمالهن وحبهّن أفروديتا الخالدة السّاحرة ، وبزق على تمثاله ، وهو ينبغي أن يبزق على نفسه ، وفي لحظة خيانة لخيانته لروح جمــال الفنان الذي يسكن يديه ، ويملك عليه روحه وإبداعه ، أقسم على أن يهجر فنه عقابًا لنفسه على ما أنتجتْ من دمامة وبشاعة ، وما أتلفت من جمال طبيعي هو مهجة الرّوح ، وربيع القلب ، استغفر طــويلاً آلهة الحبّ أفروديتا التي سبّها ، وتطاول عليها مــرارًا وتكــرارًا ، وتمنّى أن تكون متسامحة معه بقدر جمالها ، فتغفر له خطايــاه ، فجمالها الأخّاذ يتســع لكلّ مذنبي الدّنيا ، وأمَّــل نفــسه بــالمغفرة المنشودة،وخلد إلى نومٍ قائضٍ في نيران هزيمته،وأســدل جفنيه كي

لا يرى مسخه الصّخريّ الذي حُفر لسبب ما في جـــدار خـــاطره ، ودائم تذكّره.

وخمّن بجماليون أنّ أحزانه كافية لمـــسح خطيئتـــه ، لكـــن أفروديتا كانتْ متعطّشة للحزن من نقيع ندمه وحزنه وغضبه النّزق ، وقررتْ في لحظة انتقام سماويّ أن تشعل جذوة الحياة فـــي صـــدر جالاتيا المرأة التّمثال كي تجعل أنفاسها عذابًا موصـــولاً لا ينقطـــع لبجماليون المتبجح ، وهمستْ في أذنها بكلمة العشق الكبرى ، فنطق وجيب قلب جالاتيا باسم بجماليون ، الـــذي بُعثـــت كـــي تعـــشقه ، وضحكتْ أفروديتا كثيرًا ؛ لأنّها ضحكتْ أخيرًا ، فهـــي تعـــرف أنّ عشق امرأة دميمة لمبدع عظيم يشقيه أكثر آلاف المرات من صـــدّ امرأة جميلة وإنْ كان صدّ رفض لا تمنّع ، وخلدتْ للنوْم في صدفتها البحريّة فوق زبد البحر ؛ لأنّها ستسهر طويلاً فيما بعد لتراقب عذاب بجماليون على يديّ جالاتيا العاشقة المسخ.

(3)

(أ)

سهرتْ أفروديتا طويلاً لتشهد بحسدٍ مُحرق سعادة بجماليون الذي سعد أخيرًا بالعشق الخالد على يدي امرأته المسخ ، وفكرّت بجدية أن تتوسّل لبجماليون لينحت لها رجلاً مسخًا خلق لكي يكون عاشقًا.

(3)

(ب)

باءت كلّ تدابير بجماليون بالفشل ، ورأتْ جالاتيا وجهها في مرآة قديمة في قبو قصر بجماليون ، لم تستطع أن تنطق بكلمة واحدة بعد ذلك ، وسقطتْ ميتة بعد أن تحجّر قلبها حزن ، وتيبّستْ أطرافها ، وتصلّدتْ وشائجها ، وتحوّلتْ صخرًا أوهاه الحزن ، فخرّ رملاً سرعان ما ذرّاه الريح الذي انطلق في رحلة أبديّة لا تعرف نهاية ، وغدا يستمتع بمطاردة بجماليون له في أصقاع الدّنيا ، ويطالبه بردّ رذاذ معبودته جالاتيا.

(4)

مسرور المجنون

وقف مكبلاً أشعث أغبر عاري من سلطة أو نفوذ أو سيف بل ومن حذاء مصفّدًا بين يدي مولاه السّلطان حَبْر الدم ، الذي علّمه عشق الدّماء ، واحتراف اشتهاء الرُؤوس المقطوعة والرّقاب المثكولة ، وأورثه شبق الموت ومضاجعة الأجساد الميتة.

في نفسه تضجّ رغبة واحدة تملك عليه منافذ حسّه ، وتغلق أذنيه دون أصوات المطالبين برأسه ، والوافدين إلى قاعة المُلك ليشهدوا محاكمته العادلة المزعومة على سفك رأس أو بضعة رؤوس اشتهى نصله أن يذوقها ، فأذاقه إياها حبًا وكرامة. فأصبح مجرمًا في عشية وضحاها ، وغدا مسرور المجرم بعد أن كان يرفل ببركات اسم مسرور السيّاف المرافق الدائم للسّلطان الذي لا يعرف سوى لغة الدّم المسفوح ، والرقاب المهاجرة ، والأجساد المطعمة للنّار.

مولاه السّلطان هو من علّمه شهوة القتل ، وهو من وضع السّيف في يديه أوّل مرة ، وهو من لقّنه فنون التمتّع بالموت ، وهدر قدسيته ، والتغاضي عن توسلات المستضعفين وأنّات المظلومين ، لقد خرس تمامًا منذ أن تعلّم لغة السّيف ، وأصيب بالصّمم منذ أن طغى صوت سيفه على كلمات الحق ، فغدا أخرس أصم دمويّ ،

فارتاح وسعد وأسعد سلطانه به ، وأنزل البشر جميعهم عنده في منزلة البهائم ، يحقُّ له ذبحهم متى ذكر اسم الله على رقابهم.

لو لم يمرض السّلطان لأيام ، وينقطع عن جولاته ، لما آل إلى ما آل إليه ، فقد حُرم متعته بمرض السّلطان ، ومرتْ عليه أيام دون دم مسفوك ، وعيون جزعى ، وفرائس مرتعدة ، وحلوقٍ مفصودة ، وألسنة متدليّة خارج الأفواه ، وفي ليلة شبه مقمرة استبدّت به رغبته ، فلبس ملابسه على عجل ، واستلّ سيفه الجائع ، وطارد المجهول حتى أدركه ، فذبح بسيفه أول وثاني وخامس وتاسع من وجد ليلتها في طريقه ، إلى أن انتهتْ ثورة قرم سيفه ، فعاد إلى كوخه راضيًا مرضيًا ، وركن إلى سيفه الحبيب ذي النّصل الأحمر يضمّه ويقبّله ويمارس معه أجمل متع الفراش ، وحُقّ له ذلك ، أليس سيّاف السّلطان ؟!.

يحّدق طويلاً في وجه معلمه الأكبر المُسمى السّلطان ، يرقب بتقزّز تلك الأجساد العفنة الخائفة دائمًا على رقابها ، فتفرّ من أمامه كالفئران ، أو تتملّقه كبزّاقات قذرة خبيثة يطيب له أن تعلق في نعله.

يرثي لتلك الرّقاب التي تجهل جمال لحظة الإنعتاق من الهموم والانفصال عن أجسادها إلى الأبد ، والتمرّغ بتراب الحرّيّة ، ونشوة الاضطراب والحركة. من جديد تجتاحه دورة الاشتهاء الشبقة لسيفه ولممارسة هوايته الوحيدة به ، تغريه رقبة السّلطان

المثقلة بقلائد الجُمان والماس ، والمترعة بحمرة الصّحة والرّفاهيـــة ويخضور ماء الورد وفتات المسك ، تتلبسّه قوة جبّارة يحجل بقيوده ، ويفجّر أصفاده بقوة حركة زنديه المتباعدين عن بعـــضهما بقـــوة سعيه الهمجيّ إلى هدفه الدّمويّ ، يستلّ سيفه الملقى علـــى الأرض متهمًا مثله ، وبضربة نجلاء يقطع رأس السّلطان ، فيتـــدحرج بـــين قدميه مودّعًا جسده المتخبّط بشدّة في دمائه ، السّاجد لأوّل مرة عنـــد أقدام العبيد والمتملّقين والمستضعفين.

يعلو المكان هرج ومرج ، وتضجّ سعادة منتشية فـــي جـــسد السّياف ، ويسجد الجميع للسّلطان الجديد الذي بزّ من مكانه ، وظهر على العرش ، فيما سجد مســـرور للسّيف الذي يعبد ، وغرق فـــي ضحك هستيري محموم.

(5)
معروف الإسكافيّ

يستطيع الاعتراف بأنّه يسقط في الحكايا هكذا دون ترتيب أو قصد أو حاجة ، حتى ذلك الدّور الخالد الذي لعبه في ألف ليلة وليلة ، وبوّأه الشهرة ، وفتح له أبواب المجد ، وكتب اسمه في سِفْر الملوك والسّلاطين والقادة وعظماء المحاربين والعلماء كان محضَ صدفة. فما كان يبغي أدوارًا في حكايات ولياليِ ، ولا شهرة في القصور والمخادع ودور الورّاقين والمستشرقين ، إنّما كان سعيه في سبيل إيجاد حلٍّ لمشكلته المستعصية ، فأيّ رجل يملك قدمين عظيمتين كقدميه عليه أن يفكّر جديًا بحلٍّ لمشكلته ، فهما سبب بلائه ، وطول عنائه ، وعِظمْ مشقته ، فعِظَمِها الأسطوريّ جعله ألعوبة الصّبية ، وأضحوكة الرّجال والنّساء ، وحَرَمهُ من أن يلبس حذاءً جديدًا كان أم قديمًا.

فأيّ إسكافيّ سيفكر بصناعة مركب جلدي ضخم ليكون حذاءً له ، وكم من ماعز سيحتاج إلى جلدها ليفعل ذلك ؟ وكم من الليالي سيقطع في صناعتها ؟ الأمر أعزّ من أن ينجز أو يفكر به لا سيما لفتى مُعدم مثله ، أخْطَأهُ الجاه ، وتجنبَهُ الغنى ، وهجرَهُ النّسب والحسب ، وفاتَهُ تعلّم صنعة ماهرة ، أو إتقان حرفة حاذقة ، لذا فقد خَطَّ في كتاب حَظِّهِ النّكد ضنك العيش ووجع القلب.

وكان الصدّ من الحبيبة ، والقطيعة من الأصدقاء والأهل ، والنّفور من الصّحبة والجيران واسطة عقد البلاء لا أوَّله ولا آخرة ، إلا أن صدفه الحظّ أو عثر به أو اصطدم به عندما داس دون قصدٍ بقدمه العظيمةِ على قدم كهرمان شهرزاد ، وكاد يسحقها ، فأمطره بوابلٍ من الصّراخ والسّباب والتّوتر ، ثم الاعتذار ، ثم جاء العرض الذي غيّر حياته وقلب حياته رأسًا على عقب ، فقد أوحتْ قدماه الكبيرتان لكهرمان شهرزاد بفكرة مذهلة ، فوظّفه للتو والسّاعة إسكافيًا في حكايتها المشهورة ألف ليلة وليلة ، وأسند إليه مهمة صناعة الأحذية ومقارعة الوحوش ، وتغيّر القدر ، ومجالدة الطغاة الجبابرة ، وأَسْرِ قلوب العذارى والحسناوات ، كلّ ذلك على أن يبرز قدميه في كلّ مشهدٍ من مشاهد الليالي ، ليستكمل به اللّوحة العجائبيّة الأسطوريّة لليالي التي حققت أرباحًا خياليّة ، وأنهال عليها القرّاء والدارسون من كلّ أقطاب الدّنيا ، وعتبات الأزمان معجبين مفتتنين بها ، ووافق معروف فرحًا على هذا العرض السّخي ، وأصبح بقدميه الكبيرتين رمزًا لفتى أحلام كلّ فتاة في السّلطة ، وسَعدَ بتنهدات الحسناوات وزفرات العذارى كلما لاح وجهه في مكان أو ضمه مجلس أو جَمْعٌ أو شارع أو زقاق ، وشرع يفخر لأوَّل مرة في حياته بقدميه الكبيرتين اللتين أحرزتا له ما لم يحرزه تاج سلطان ، وطفق يمطرهما بالمسك والعنبر ، ويغسلهما بماء الورد ، ويتفنّن بربط أصابعهما بالشّرائط الملوّنة ، التي تبرز مفاتن ضخامة

الأظافر ، وجماليات انحناءات تلبدّات اللّحم والشّحم فيهما ، وتتناسب مع تسلّخات جلد أديمهما.

وأخذ يعدّ العدّة ، ويدّخر المال كي ينتج بنفسه لياليَ أخــرى ، ويسند إلى نفسه فيها دور شهريار ، ويُسمي نفسه شهريار الإسكافي ، وقد ينجح في إقناع الملكة شهرزاد الفاتنة بأن تلعــب أمامــه دور البطولة النسائيّة في تلك الليالي ، من يعلم قد ينجح في ذلك في ضوء سحر قدميه ، وجاذبية رائحتهما ، وإمكانات إبداعهما.

(6)

السّندباد السّماويّ

درس السّندباد كلّ العروض المقدّمة له منذ نفاد مـــال منحتـــه الاستكشافيّة لدراسة البحور السّبعة ، ومناقشة أطروحته لنيل درجـــة المغامر الأوّل في اكتشاف البحار وأعالي الأنهـــار والأهـــوار مـــن جامعة البصرة للموجودات الأسّطوريّة ، وقد نال درجة التميّز مـــع وسام الكذب السّردي ، ودرع اللؤلؤة المفقودة للخيال البحريّ. وأفرغ جزءًا كبيرًا من خبراته وأبحاثه العلميّة وسيرته البحثية في كتب مهم ، على رأسها ألف ليلة وليلة ، ثم عُيّنَ برتبة رئيس ديوان القـــصص والمغامرات ، وبعد تقلّده وسام المحاربين القدامى تطوّع للمـــشاركة في حروب التّحرير في جنوب أفريقيا وأواسط أمريكا الجنوبية ، ثم عُيّن سفيرًا للنوايا الحسنة ، ثم تطوّع في جيوش حفظ السّلام في كلّ مكان اشتعلتْ فيه الحرب في المعمورة ، وفرح للغاية بقبعته الزّرقاء ، وطرح جانبًا عمامته الخرافيّة ذات ريشة طائر الجّنّة ، ومرجانـــة ملك الجان.

ولكن مهمته الأخطر كانت رئاسة حملة بحريّة بتمويل ســـرّي من القصر السّلطانيّ بدعم من البنتاغون للبحث عن قارة أمريكـــا ، ليتّم اســـتعمارها من جديد ، وكانت مغامرة بحرية مثيـــرة تغطيهـــا الأقـــمار الصّـــناعيّة ووكالات الأنبـــاء الـــدّوليّـــة عبر مراســـليها

متعدّدي اللّغات والمواهب ، وإن كان ذلك قد حرمه من متعة مقابلة الكائنات البحريّة الأسطوريّة ، أو مغازلة حوريّات البحر اللواتي يكرهن فضول الصّحفيين وعيون الكاميرات الملحاحة. ونجح أخيراً بمهمته ، واكتشف أمريكا من جديد ، وأعلن البنتاغون بفخرٍ عن نجاح مهمته في البحث عن أمريكا التي ضاعت في البحر بعد حرب كونية رهيبة ، وأكد أنّ ذلك قد تمّ بخبرات أمريكية وعقول وطنية دون الاستعانة بأيّ غرباء لا سيما من أصحاب العمامات الصّحراويّة المتوحّشة !!! وما كان هذا التّصريح ليحزن السّندباد بقدر حزنه لعدم صرف كافة حقوقه المادية المترّتبة على هذا الاكتشاف ، وانضمّ إلى صفوف الباكين على أطلال الهنود الحمر الذين أُبيدوا من جديد على مذابح آلهاتهم ، إذا كان يحمل في صدره تاريخاً من الأطلال الدّارسة وملاحم الأرض اليباب ، ومعارك الأبطال مع مقامات السّراب.

وعكف السندباد نفسه على إكمال دراسته للأحياء في جامعة شينو للخدمات المصرفيّة ، وأفاد كلّ الإفادة من مختبرها الذّري المتطوّر ، وأجرى كافة أبحاثه لينتج طائره الخرافيّ الذي طالما حلم به ، فصنعه من جينات دجاجة وخلايا حوت وبرمجيات مُدمِّرة بحريّة ، وخمرّه في مفاعل نووي عملاق إلى أن استوى بيضة ثم فقست منها دجاجة ضخمة ، بجناحين خرافيين ، فأسماها الرّخ ، تيمّناً بالماضي الجّميل ، وشدّ على ظهره ، وحلّق في سماء

الحريّة حيث لا حرّية ، وطار غير نادم وبقرار مسبق مبيّت لم يرد به تقرير أيّ مخابرات دوليّة إلى أرض الحكايا ، وهبط في الرحلة الثانية من رحلاته في كتاب ألف ليلة وليلة ، ونسي كابوس اكتشاف الأرض الجديدة ، وانبرى يبحث باهتمام عن اسم مثير لطائره الرّخ ، وبعد جهد وعناء وتفكير وتدبّر وإقبال وإدبار أسماه الرّخ طائر السّندباد السّماوي.

(7)
حذاء سندريلا

لم تحظَ سندريلا بأيّ تربية قويمة تُذكر ، ولولا جمالها الآخّاذ الذي ورثته عن والدتها المومس التي أغرتْ والدها ، وتزوّجته ثم ولدتْ له سندريلا ، وسرقتْ ماله وفرّت مع عشيقها الماجن لكانتْ سندريلا لا تساوي قشرة بصلة ، وما وجدتْ طريقها إلى قلب وليّ العهد الأبله المأفون الذي استطاعتْ أن تُرقّصه كدمية بلهاء أنّى شاءتْ ثم أن تتزوّجه لتغدو سيّدة القصر الأولى بكثرة الإنفاق بالصّور المبثوثة لها في الصّحف والمجلاّت والإنترنت ، فكبّدتْ الدولة خسائر لا تكاد تُطاق ، فطاف حماها الملك على كلِّ البلاد يستجدي ، ويطلب المنح والعطايا ، واضطر أخيراً إلى أن يقيم حفلة الاستقبال هذه ، ويدعو الأمراء والأثرياء والسّفراء إليها ، ليشاركوا في مزاد على قطعه الأثريّة ومجوهرات العائلة المالكة ليبيعها ، ويسدّد بثمنها جزءاً من مديونية دولته ، فيحميها من الإفلاس والفضيحة ، وكلّ ذلك بسبب زوجة ابنه المقيتة سندريلا.

لقد حلّ الخراب على قصره وعلى ابنه وعلى قلبه الذي أصيب بأكثر من جلطة منذ أن ظهرتْ سندريلا في حياتهم ، ويقسم لو أنّه كان يعلم أنّ الويل سيكون على يديها ، إذن لأمر جنوده بقتل كلِّ فتاة وطفلة في المملكة ، وقضى على لعنةْ اسمها سندريلا التي

خدعته وخدعتْ ابنه وليّ العهد ، وخدعتْ الرواة والمحدّثين والمؤرّخين عندما أقنعتْ الجميع بأنّها فراشة رقيقة ملوّنة خرجتْ للتّو من شرنقتها بكلِّ براءتها وطهرها ، وأنّها ضحيتْ يتمها وجماله وكيد زوجة أبيها العاقر التي تفضّل رعاية كلبها السّلوقي على رعايتها ، واحتالتْ لنفسها حتى سلبتْ قلب الأمير الغرِّ الذي ما استطاع أن يقاوم جمالها الفنيقيّ النادر.

من صميم قلبه تمنّى لو أنّ سندريلا تتغيّب عن حضور هذا الحفل ؛ فهو ما عاد يطيقها تتمايل بخيلاء بالجّواهر وفاخر الثّياب بعزيز ماله ، وهو يتسوّل على أبواب البلاد والسّلاطين ، لكنّها – كعادتها– تطير إلى أيّ حفل يلوح لها لتعرضَ جمالها ونفائسها.

حضورها شغل الحاضرين ، وحذاءها البلّوريّ السّاحر كقطعة كريستال فاخرة صنعتها الجنّ ومهرة الصّناع الحاذقين ألهبتْ ألباب الحضور وهم يحاولون أن يخمّنوا ثمنه الذي يربو عن ثمن كلّ ما تلبس نساء الحفل جميعاً مجتمعات من جوهر ، شنّف الملك أذنيه لتخمينات المشغولين بحذاء زوجة ابنه المتلافة ، وعندما سمع الأرقام الخياليّة المفترضة ثمناً له ، ورأى حمرة الإحراج تعلو وجه ابنه كلّما كبّدته زوجته نفقات جديدة ، شعر بحشرجة حارقة في حلقه ، وطغى ركل قلبه لصدره على صوت موسيقيّ الحفلة ، وشعر بدوارٍ مغثٍ ، وسقط مغشيّاً عليه عند حذاء سندريلا.

(8)
شمشوم الجبّار

.....

.....

.....

..... (1)

(9)
العذراء الذبيحة

.....

.....

..... (2)

(1)هذا الباب من التاريخ مُصادر لأسباب أمنيّة.

(2) هذا الفصل مُصادر لأسباب عشائريّة.

(10)
ثورة اللّصوص

.....

.....

.....

.....

(3) .....

.....

.....

(4) .....

(11)
الخيل والماء والنّار وما يزرعون

.....

.....

.....

(5) .....

---

(3) هذا الباب ورد باسم (ثورة الجائعين) لكنّه عُدّل بقرار شريف من الباب العالي.

(4) هذا الباب معلّق حتى تعديل عاشر لأسعار الخُبز ، لا سيما خُبز الفقراء.

(5) قائمة المراجع والمصادر :

جميع مصادر الكتاب ومراجعه مُحتجزة على ذمة التّحقيق في وقائع إرهابية لإساءتها لديانات أخرى وطوائف مسكينة.

عام النّمل

عام النّمل

لم تكن مملكة النّمل معنية بأيّ تواريخ أو أزمنة أو تسميات؛ إذ كانت مصلحة الجماعة هي ما تعنيها، في حين تضرب صفحاً عمّا هو دون ذلك أو ما فوقه، وإن كانتْ تواريخ محفورة في ألواح التاريخ بالذهب أو بالدم، أمّا الزمن فهو في عُرفها حالة فراغية لا تعرف لها تحديداً مقيتاً كالذي يعرفه البشر، وكلّ ما كان يعني مملكة النّمل هو تقويض ذلك العرش الذهبي الضخم الذي رُكّز تماماً فوق مخازن الغلال والمؤن، فباتَ يهدّد مملكة النّمل بالجوع وهي مقبلة على فصل الشتاء، حيث لا متسع لجمع مؤنٍ جديدة أو نقل محتويات المخازن العتيقة المأسورة تحت العرش، وما كانتْ المملكة لتتخلّى عن مقدّراتها وممتلكاتها، فالتمسّك بالحقوق هو قانون النّمل المقدّس.
بعثتْ مملكة النمل رسولاً إلى سلطان عرش البشر تسأله أن يغيّر مكان عرشه، فيخلي بين النّمل ومستودعاته، لكنّ السلطان ذا العرش الماسي سخر من ضعف الرسول النّملة، وداسه بنعله دون أن يعبأ بدوره المقدّس، فمحقه محقاً، وجلجل الإيوان بضحكات استهتاره وانتصاره المؤزّر على الرسول النّملة، إذ ظنّ أنّه قد هدر كرامة مملكة النّمل الوقحة بسحقه لرسولها الأسود الصغير ذي الأيدي المرتعشة.

صمّمتْ الملكة النّملة على أن تسترجع المؤن المسلوبة، وعلى أن تمزّق كِبْر السلطان البشري العابث، وأن تهدّم عرشه المسكون بالتجبّر وآهات المستعبدين من شعبه، وأعلنتْ أنّ مهمة تقويض عرشه هي واجب مقدّس على كلّ نملة محبّة لأهلها، مؤمنة بقضية أرضها وشعبها، وأطلقتْ صفير النفير الذي لبّى الجميع نداءَه المقدّس.

كانتْ المهمة شبه مستحيلة، لكن كرامة النّمل المطعونة غدت المحرّك والفتيل لأتون العمل والجهاد، في غضون شهور قليلة مزّق النّمل بأفكاكه القوية بالعزم والعمل الدؤوب، والواهية أمام الصّلب والخشب عرش السلطان، فتهالك العرش، وهوى بسلطانه الجائر الذي قضى صريعاً، وما وجد من شعبه من يرثيه إذ كان مكروهاً لا يناسب جوره رثاءٌ أو ترحّم، وكان الشعب الذي لاك جوره دون أن يزفر زفرة احتجاجٍ أو رفض مشغولاً بتسجيل مآثر عام النّمل وتدوين مفاخره؛ إذ غدا تاريخاً حاسماً تؤرّخ به الأزمان القاتمة والثورات المقدّسة.

من تقويم عام النّمل:

في عام (50) من عام النّمل غلب سلطان ذو عرش ذهبي على مملكة النّمل.

في العام نفسه أَعلن النّمل النفير المقدّس على السلطان الجائر، ورهط من المؤرّخين من البشر.

في العام (51) من عام النمل أُلغي التقويم النّملي، وأُعتمد رسمياً التقويم السلطاني.

في العام (...) من عام النّمل، وبعد ثورة مقدّسة أعلنها النّمل عاد التقويم النّملي، ومن جديد أُرّختْ به الأزمان القاتمة والثورات المقدّسة.

قاموس الشّيطان

قاموس الشّيطان •

الألف : أَحَدَثَ

أَحَدَثَ في النّاس بدعة سرقتْ ألبابهم ، وألهبتْ مخيلاتهم ، وفتّقتْ قرائحهم على الجّمال والرّفاهية. طرده عظيم السّهول ؛ لأنّ لونه الأسود لا يليق بجواري قصره البيض دون أن يعرف أنّه طرد معه حياة الرّفاهية التي كان يجيد فنونها ، ويتقن أطايبها ، فاستقبله عظيم الجبال ، وأنزله مقام التّقدير ، فوهبه كؤوسًا زجاجيّة ، كانتْ شفافة لم تَرَ عينٌ مثلها من قبل في سلطنة الجبال ، وقال لعظيم الجبال بلؤم : " عليك أن تكون بمثل شفافيّة هذا الزّجاج ؛ لتستمتعَ بطعم الشّراب فيه ".

أخلص عظيم الجبال لوصية صانع الرّفاهة ، وحاول أن يشفَّ كالبلّور ، وعندما عجز عن ذلك أمر بتعتيم زجاج السّلطنة ، فذلك أجدى للمتعة ، وأكثر ملائمة للون عمله وقلبه وتاريخه العظيم !!!.

• عليك أن تردّ الكلمات إلى أفعال الألم ، ثم تجردّها من أكاذيبها ، فتحصل على المعنى الحقيقي للكلمات في عُرف جحيم الشّيطان.

الباء : بَدا

بَدا المرض غريبًا فتّاكًا ، يهاجم الأجساد بشراسة مخيفة ، ويلعن الماضي ، فيأكله بتؤدة مخيفة. بدأ بحالات محصورة في صفوف أولئك المطحونين بألم الشّقاق والفقر والضعف ، ثم تسللّ إلى آخرين مهصورين في يديّ الحيرة والضياع ، ثم عظّ نابًا زرقاء في أجساد المستضعفين واللّقطاء وأصحاب العاهات والمجانين والمنبوذين والمعتقلين ثم بدأ يتفشّى في صفوف العامة والخاصة ، كان يبدأ بصداع وحزن رهيبين ، ثم يتحوّل إلى اضطرابات في النّوم والأكل والتبرّز مع ارتفاع واضح في الحرارة والقلق إلى أن يصبح سلوكيات جسدية ولفظية عدوانية ، ثم يشوّش الذاكرة ويعطّل الفهم ، إلى أن ينفذ إلى العيون ، فينسج مادة هلامية بيضاء شبه زرقاء على نوافذها ، فتحجب الرؤية ، فتتلبّس المريض حالة هستيرية قصيرة ، تدلفه بسهولة إلى عالم الخَدر والنّسيان ، فينسى الماضي ، وينسى ما كان وما لم يكن ، وما كان يجب أن يكون ، ويتبرّأ من كلّ أدرانه وجرائمه ومعاصيه ، ويخلع أحزانه وأمنياته وماضيه ، ويقطع صلته مع كلّ حاضره ، ويهيم في عالم الهذيان والخيالات ، فيسعد ، ويُسعد ، وينضّم طائعًا راضيًا إلى ضحايا " طاعون النسّيان " ، حيث تتبنّى دول كوكب الأرض برامج توعية لكلّ المرضى ؛ لتقنعهم بأنّهم أغنام ، في غياب ذاكرة تسعفهم بحقيقة أنّهم مِنْ بني الإنسان.

التّاء : تاهَ

تاهَ في عاصفةٍ ثلجيةٍ غشيتْ الجبال حيث يسكن شأنها في كلّ موسم ، اعتادتْ سنونه التّسع على الثلج ، ولكنّها لم تــألف خــشونة مشاعر والده البارد كصقيع ، فقرّر أن يبحث عن الدّفء ولــو فــي قلب الثلج ، تمعطف بغضبه ، وانتعل نزقه وطيشه ، وتزوّد ببوصلة قديمة كي لا يضلّ الطريق ، وهرب من البيت ، وقصد أعالي الجبال ، فما وجد قلب الجبل المنشود ، ولكن غشيه صقيعه ، وجللّت روحه التي تكاد تتجمّد في أتونها الغاضب سكينة الموت وجبروت البــرد ، فسقط مغشيًا عليه في الثلج ، واستسلم للموت ، الذي فاجأه بوقاحــة واستهتار واستفزازٍ لئيم ، فجاء الموت يغذّ الخطى ، وكاد يلقمه لولا يدان دافئتان خطفتا غنيمته منه اسمهما يدا أب ، ومنحتا مــن دفــق دفئهما عزيمة للصّغير البائس المستسلم للموت ، الذي أدركه ســهوم المفاجــأة ، وعالجتْ نفسه دموع النّدم ، وأدرك أنّه صغير بحــق لا يعرف معنى حبِّ أبٍ ، تتمطّى أصابعه بخجلٍ في خصلات شعر ابنٍ له ، أبٍ دفعه إلى حمأة حنان صوره ، وحمله بين يديه ليقطــع بــه ثلوج عاصفة ثلجية عجيبة ، فقد كانت أنامله دافئة إلى حدٍ أذاب جليد قلب الصّغير المتمرّد ، وأسلمه لمواقيت تدفّق حنان الأبــوة ، التــي تدني قطافها على حين غرّة من كروم القلب في أوقــات الأزمــات والشدائد ، وتبخل بعزيز جناها في غير أوانه أو مكانه.

الثاء : ثلثا

ثلثا نهاره كان يقضيه في شرفة منزله أو في حديقتها الغنّاء التي تضجّ بالزهور وعشرات الأشياء القديمة التي آن موعد الاستغناء عنها ، ولكنّه ما زال يعطيها مهلة ما لعلّ طارئ حاجةٍ يدفعه إلى استثمار بعضها في حاجة أو غاية ، يراقب تلك المرأة غريبة الأطوار ، التي تغفل عن الدّنيا وما فيها ، وتزهد بكلّ شيء إلا بزهور حديقتها وطيورها الأليفة ، فتنفق الوقت تعتني بها ، وتستدرك بها أنّها كادتْ تموت دونها بعد رحيل الأحبة ، وحَصْدِها الصّمت والجمود والرّتابة ، بدأ عادة مراقبتها بدافع الفضول ، ثم بدافع تبديد الوقت ، ثم غدا الأمر طقسًا من طقوسه السّريّة المحبّبة إلى نفسه ، ثم لسبب يجهل تفسيره أو تخونه الكلمات في سبيل ذلك ، فقد غدت مراقبتها متعة الرّوح وخوخة حديقة الانتظار ، حاول أن يقترب منها ، فصدّته ، حاول بإصرار أكثر فنفرتْ منه بشدة ، فرض نفسه عليها ، فجفلت بكبرياء عجيب ، فعزّى نفسه بأنّها غريبة الأطوار ، واستمرّ بمراقبتها بصمتٍ وتخفٍ وإن كان يجزم دائمًا للأصدقاء بأنّها غريبة الأطوار ، ويضحك هازئاً من أسئلتهم الخبيثة عنها ، فيستعرض حنايا جسده ، محاولاً إخفاء صدوع أمنياته ، وانهيارات انتظاره ، وذلك الألق العجيب الذي يسكن عينيه لساعات كلما راقبها ، ثم تلوح في ذهنه بأسى جريح سلوكياته الغريبة والشاذة في اقتفاء آثارها ، وفي مراقبة سلوكياتها ، والتجّسس على

خصوصياتها ، فيستولد ابتسامة رديئـــة الصّنعة على وجه فضحـــه الشّحوب ، ويقول ساخرًا : " حقًا كم هي غريبة الأطوار ، وهذا مـــا لا يعجبني فيها ".

الجّيم : جمعهم

جمعهم دم واحد ، ورمال واحدة ، وزعيم واحد له السّؤدد ، اعتادوا على أن يغضبوا إذا ما غضب ، وأن يرضوا إذا ما رضي ، وأن يركبوا إذا ما ركب ، وأن ينزلوا إذا ما نزل ، وهو اعتاد على أن يكونوا ظلّ إرثه الصّحراوي الزاخر بالرّمال والثارات وآلاف الأحقاد ، وحفنة أرامل وأيتام ضعاف يُمكن أن يهصرهم بزفرة واحدة من زفراته ، فكان شأنه الرّضا عن سؤدده ، والقبول برضاه ، إلا أن أصابتهم لعنة فارس منهم شبّ عن الطوق ، وقرّر أن يعرف فيما يغضب سيدهم ، ليختار الغضب أو عدمه ، ولكن الوقت لم يسعفه ، وسيف الزّعيم لم يمهله ، فمات وأورث الغضب لألفٍ من فرسان القبيلة الذين غضبوا لأوّل مرة ؛ لأنّهم غاضبون ، وحملوا السّيف ؛ لأنهم قرّروا أن يسألوا !!! فأُرّخَ بقرارهم تاريخ موت السّؤدد المزعوم.

الحاء : حالته

حالته العصبيـّة والعقليّة تستدعي أن يمـدّد إقامتـه الجبريـة فـي مستشفى المدينة العسكريّة ، هذا ما قرّره رئيسه العسكري المباشر ، وصادق عليه طبيب المستشفى مرغماً كقطٍ مبلولٍ ، وهو لا يبـالي بهذا التّقرير ، ولا يضيق ذرعًا بإقامته الجبريّة ، إذ لا يجد فرقًا بين مجنون محبوس خلف أسوار المستشفى ؛ لأنّه يسعد بقوة بقتل الكلاب المدلّلة لرؤسائه في العمل انتقامًا منهم لأمرٍ في نفسه ، وبين مجنون خارج الأسوار يحمل بندقية وشارات عسكريّة على صدره وكتفيه ، ويقتل أبرياء وعزّل باسم الرّب والوطن والحق بل وباسم الـشّيطان لغايةٍ في نفسه. يهزّ كتفية بلامبالاة ، ويرقّص قدمه من فوق قدم في سريره القديم ، وينتهر من حوله من مجانين مثله ، لا يجيدون فنون قَتْل البشر ، ويومئ إلى طبيبه المعـالج بحاجبيـه ، ويـدعوه إلـى الاقتراب منه ، ثم يقول له بحذرٍ وثقةٍ : أتصدّق أنّ المجانين في كلّ مكان حتى في مستشفى المجانين ؟!

الدّال : دلّلها

دلّلها والدها كثيرًا ووثق بها ، فاعتادتْ على أن تكون في النّـــور ، وأن تفعل كلّ شيء في النّور ، ثم مات مُدلّلها والمؤمن بها ، فجـــاء عهد الكافرين بها ، اسموهم أخوة ، لكنّهم يحفظون طقوس الشّيطان ، ويبرّون بقسمهم له ، كرهوها وكرهوا تدليل والدهم لهـــا بقـــدر مـــا كرهوا قبس النّور الذي تعيش متنسّكة في قدسيته ، جلدوها وجوّعوها ، وربطوها في قبو بيتهم ، لكي يسجنوا فضيلتها خلـــف الأســـوار ، فهي برأيهم من تصنع شرف المرأة ، ولأنّهم غير مسجونين خلفهـــا فقد كانوا يقتاتون على شرف الآخرين ، ويدفعون من عزيز مـــالهم ووقتهم كي يستمتعوا بدم الشّرف المسفوك ، وقرّوا عينًا بحكمـــتهم ، وما دروا أنّ العائشة في النّور قد غدت منذ أن جُلدتْ وحبستْ فـــي قبو المنزل من عاشقات الظّلام واللّيل ، ومن مانحيهما لكـــلّ مُـــشتهٍ يدفع ثمنهما.

الذّال : ذاتي

ذاتي لا أجدها ، ويبدو أنّني قد أضعتها ، لذلك فأنا أبحث عني ، ومن يرغب في أيّ تفاصيل عني أستطيع أن أمدّه بها لعلّه يوفق في أن يجدني ، أنا أعرف اسمي وجميع أرقام أوراقي الثبوتية ، وأحفظ عن ظهر قلب جميع معلومات وثائقي وشهاداتي وأتقن قراءة أيّ خارطة مصالح وأيّ إشارة فساد ، وأشتمّ بدقة رائحة الجنايات والانتهاكات والتجبّر ، لكنّني لا أعرف أيّ شيء عن ذلك الضائع مني ، لذلك فأنا معنيٌ بالبحث عني ، حتى أجدني أو أضيّع عن طيب خاطر الجزء المتبقي منّي ، فقد يكون ضياعه هو طريق أن أجدني.

الرّاء : ردفاها

ردفاها أهمّ خرائط الدّنيا في عيون عشّاقها من الرجال ، الذين يحفظون تقاسيمهما وهضابهما وأهوارهما وقبابهما أكثر مما يحفظون من تقاسيم وجهها المنسيّ ، فهما قد شغلا الدّنيا أكثر من اشتغالها بمقدمة ابن خلدون مثلاً.

هي مغنية مجيدة ، فهي أوّل من نقلتْ الغناء من الفم إلى الأرداف ، وأُثبتت أنّ السّماع يكون بالعيون الشبقة ، لا بالآذان المشنّفة للصّوت الجميل ، وللّحن الدافىء والأداء الصادق ، فوجب أن تحفر صورة ردفيها في سِفْر الخلفيّات ، فهذا مكانها !!! ولا غرو إذن في أن يخرج آلاف من عشّاقها غناء ردفيها ليستقبلوها في مطار عاصمتهم ، ويدوسون في طريقهم ذلك المجاهد الذي عاد من معتقله بعد سنينَ يحمل ذكريات من نار ، ويرثي سنواتٍ مسروقة ، ويفاخر الدّنيا بإيمانه بتضحيته ، ويبحث عن إحدى قدميه ، فيتذكر بصعوبة أنّه خلعها مجبرًا منذ سنين في ساحة الجهاد ، فيكاد يرثيها ، إذ هي فقيدة غالية في عصر الأرداف !!! ويركن إلى أقرب حانوت ، كي لا تلوكه الأقدام كما داسته منذ دقائق في مظاهرة استقبال سيدة الأرداف الأولى ، ويتأتئ بقوة وهو يطلب من عامل المتجر أن يبعه حلوى من النّوع الرّخيص.

الزّاي : زائر

زائر هو كلّ من يدخل المعتقل عند أبي الفوارس الذي لا يملك من أخلاق الفوارس إلا فحولتهم المتشجّنة دائمًا ، ولأنّ الزائر يجبُ أن يُكرم ، فقد نذر نفسه لاستقبال زوّاره من الحمقى الثائرين والسياسيين ، يجرّدهم من ثيابهم ، ويوثقهم بذل ، ويجبرهم على ابتلاع عضوه قبل أن يغتصبهم على مرأى مِنْ جنود المعتقل ، فيسعد حدّ الثمالة بصراخ ذكورتهم المذبوحة ، ورجولتهم المسلوبة في حربهم لاسترادها ، ويعود منتشيًا إلى رئيسه الأعلى الذي اعتاد على أن يسافده في كلّ ليلة ، بعد أن يعرّيه ، ويجلده ، ثم يدّس في جيبه المال وفق متعته في تلك الليلة. ثم يعود أبو الفوارس إلى بيته لينزوي في زاوية منه ، ويبكي بحرقة من زوجته التي توسعه إهانة وتهميشًا ، وتجبره على تقبيل مداسها ، وتتجاهل بلؤم أنّه أبو الفوارس !!!

السّين : سنين

سنين عمره قضاها في ذلك المكان المظلم الرّوح والقلب لجرمٍ مـــا عاد يذكره ، وتلك الفجوة المنسيّة في حائط سجنه هي أنيسه وثروته ونافذته على العالم ، هي بمقدار استداره إصبعين مـــن أصـــابعه ، يجهل كيف قُدّتْ في جدار السّجن الصّلد ، وكيف غفلتْ عنها عيون الحراس ، فما طمسوها أو أغلوقها ، لكن حسبه أنّ القدر سخرّها له ، لتكون عينه على ما عالم ما خلف أسوار سجنه حيث باحة السوّق القديم. اعتاد على أن يرقب النّاس منها ، ولضيقها فقد كان حظّه مما يرى عبرها أنفًا أو عينًا أو فمًا ، وفق ما تتّسع الفجوة لرؤيته اعتمادًا على حجمها ، فألف لغة العيون ، ونفرات الأنوف ، وإيماءات الأفواه ، وفكّ رموز معانيها ، فأجـــاد من خلالهـــا ســـبر الشّخـــصيات ، ومعرفة الطبائع والأحوال النّفسيّة للنّاس ، وراهن على موهبته التليدة في معرفة النّاس ، وإنزالهم منازلهم بحق عندما يخرج من الـــسّجن الذي فارقة بعد سنين طوال لا يعرف لها عددًا ، وتركته يتحسّر على ما سرقتْ منه من شباب الجّسد ، ونضارة الوجه ، ومرونة الحركات ، وما وهبته مكرهًا من وافر التجاعيد ، وأبيض الشّعر ، لكنّه أدرك أنّ شيئًا أعزّ قد فاته في سجنه إذا لم يستطيع أن يمارس علمه الـــذي تعلّمه في سجنه في حضور مجتمعٍ للأنوف والأفواه والعيـــون ، إذ كانت جميعاً تُجيد التضامن والتعاضد في ســـبيل الخـــداع والكـــذب والغشّ.

الصاد : صمودهم

صمودهم مدعاة للفخر والاقتداء ، أسماؤهم يحفظهـــا كـــلّ عـــشّاق البطولة ، صورهم تعلّق في صدور أضرحة الأبطـــال والـــشهداء ، يتحدّثون باسم الثّورة ، ويقسمون بتضحية أبرارها ، يحفظون كـــلّ تواريخ البطولات والتّضحيات والحروب المكلّلة بغار النّصر وحنّاء الشّهادة ، ويطرّزون بأوقات فراغهم سيرهم الماجـــدة ، ويأخـــذون تعويضات الثّورة ، ويحصدون مكاسبها ، ويقومون بنصيبهم منهـــا ، وهو جني ما زرعه الأبطال ، إذ هم رؤساء الثّورة وقادتها وأبطـــال حروبها ، ولكن من منازلهم !!!

الضاد : ضمّ

ضمّ يده إلى صدره ، وانتزع من ثنايا دثاره خنجرًا ، وغـرزه فـي قلب صديقه النائم ، فاستل روحه ، وسطا على ماله ، ووطِئ زوجته الخائنة ، وعندما أدرك أنّ سرّهما سيفتـضح علـى يـديّ إحـدى الصديقات المخلصات للزّوج المغـدور عمـد إلـى مطاردتهـا ، والتضييق عليها ، بغية كتم الحقيقة ، لكن أُفتضح أمره في النّهايـة وعشيقته الخائنة ، وجُرّ إلى المشنقة حيث كان غاضبًا للغايـة مـن مصيره المشؤوم. وانتهى بذلك الفيلم السينمائي الذي قام ببطولتـه ، لكنّه بقي منزعجًا لأيام من المصير الذي آل إليه في الفيلم ، إذ كان يدرك بصمتٍ وإخفاءٍ حاذقٍ أنّه على حقيقته أمام الكاميرات ، وهـذا كان سرّ نجاحه وسعادته بمهنة التمثيل ، فعبرهـا يكـسب الـشّهرة والتّقدير والمال جزاء وفاقًا على شرّه ، ويمارس حقيقته دون خـداع وتزويق وتمثيل وتكلّف ، أمّا في الحياة الحقيقية له فهو ملزم بالتّمثيل طوال الوقت ، وهذا ما جعل منه ممثّلاً شهيرًا وإنسانًا شقيًا.

الطّاء : طالَ

طالَ انتظارهم لهذه التجربة التاريخية الفاصلة في تاريخ البــشرية ، التي ستقضي على النّواقص والهنات والتشوّهات ، وستخلق الإنسان النّموذج المثال ، لسنوات طويلة عملوا في هذا المعمل من أجل هذه اللّحظة ، أحصوا مناقب البــشر ، وحــصروا خــصال جمــالهم ، واستبعدوا من خرائط الجينات كلّ قبيح أو شاذ ، ووقفوا علــى أدقّ وصوف الجمال ، وشروط الملاحة ، وأسباب الفتنة ، واستحضروها في ذلك الطفل الاستثنائي الذي سيكون طفل البشريّة الأوّل الكامل ، وعلى مثاله سيكون كلّ البشر فيما بعد ، وأخلصوا ســنوات أخــرى للبحث والاستقصاء والتحسين ، إلى أن كان مولد الطّفل المعجــزة ، والأب الشّرعيّ لكلّ البشريّة المنتظرة ، فكان أمثولة لكلّ جيل ، عنده أجمل مفردات الفتنة ، وكافة الأعضاء وفق أرفع درجــات الجمــال والحسن ، ويلبّي كلّ أذواق البشر ، ويستحضر مقاييس الجمال فــي كلّ الدنيا ، كان خليطًا من كلّ الأذواق ، وسِفْرًا للرغبات والأحلام ، وخلاصة لكلّ الأمزجة السّويّة والشاذة والمتطرفة ، ومزيجًا من كلّ السّلالات البشريّة ، بل سلالة بشريّة هجينة جديدة ، فهو مسخ مخيف يحوي كلَّ جمال البشر دفعة واحدة.

الظّاء : ظاهر

ظاهر القرية هو مكانه المفضّل لكتابة مقالاته الفكرية في شتّى حقول المعرفة ، التي يجيد التّنظير فيها ، ويجهل علومها ، وحقائق معلوماتها ، فمهنته هي التّنظير ، وطلبته هي الكلمات والشّعارات الرنّانة والعبارات البرّاقة المصنوعة بدقّة ، عليها غُذّي ، وبها يعيش ، وبها يموت الآخرون.

لا يستطيع الكتابة إلا في ذلك المكان حيثُ الشّمس الجميلة والخلوة المفيدة ، والمكان المواتي للتبرّز والتبوّل والتغوّط ، للدّقة هو مكانه المفضل ؛ لأنّه يمارس فيه أجمل فعلين في حياته في آنٍ واحدٍ ، ودون تحرّج : الكتابة وطرح فضلات الجسد. فيكون إخراجه سلس ومنتظم ، وتكون مقالاته وكتاباته برائحة منتنة ، ووجود مقزّز ، ثم يغلّفها بالكلمات القشيبة ، والمعاني العظيمة ، فيستر خبثها بخبثه ، فتحصل الرّاحة له إلى أن يحتاج إلى الخلاء ومتعة الإخراج فيه من جديد.

العين : عقدوا

عقدوا النّية على تحرير وطنهم المسلوب ، ورصدوا لـــه الأعمـــار والمهج وخبايـــا الرّوح ، وبروج الأمنيات ، ونسجوا من زيتوناتـــه ومن مقل عيون شهدائه ومن حفيف قلوب أمهّاته جـــسر الـــصّمود والنّضال ، فكان الدّرب الطويل المـــستعر لأجـــل وطـــنٍ كامـــل لا منقوص ولا مجزوء ولا مسلوب ، ثم بقدرة قادر قهّار جبار تقلّـــص الوطن السّليب في حكم ذاتي ، ثم في مدينة يحكمها أخٌ قائد أضـــرب عن الطّعام والنّساء وصلاة الفجر ، ثم أصبح مخيمًـــا تعـــصف بـــه المكاره والنّوائب ، وترثيه وحوش الخرابات ، ثم أُختزل بعد حميـــةٍ وطنيّة إجباريّة في صورة بطلٍ ماتَ دفاعًا عن تُخـــوم جـــسد ولـــده الصّغير المحاصر برصاصاتِ جنودٍ يكرهـــون الأيـــدي الـــصّغيرة والآمال المقبلة مع الفجر ، إلى أن دخلَ الوطن في غرفـــة العنايـــة الحثيثة لإنقاذه من ذبحةٍ صدريّة قاتلة ألمّتْ به دون سبب محدّدٍ !!!

الغين : غيوم

غيوم السّماء هي فقط من أنفتْ من الوقوف في طـــابور المعونـــات الهزليّة التي تقدّمها عاصمة النّار تكفيرًا عن خطاياها ورزياها ، مُذ سرقت شمس أرض النّور ، وزرعتها في أكفّ الغرباء ، فـــشرّدت الآمنين في مناكب الأرض ، وطوّحت بهم إلى ما بعد حدود الماء ، فكادوا يتلاشون ما بين حدود الـــصّحراء والمـــاء ، ويـــذوبون فـــي تخومهما ، إلاّ أنّ العدالة المتوّجة على رأس تماثيل عاصمة النّـــار اقتضتْ أن تمتدّ إليهم أيدي العون ، وأن تلتقط لهـــم آلاف الـــصّور التذكاريّة التي تبرز وبر خيام تشرّدهم ، وترصد مـــآقي أحـــزانهم ، وآهات توجّداتهم ، ونيران حرمانهم ، وثمنًا بخسًا لوطنهم المسلوب ، فقد وهبتْ كلاًّ منهم صكَّ تشرّد يضمن لهم طعامًا معلبًا رديئًا وقمحًا وشعيرًا وشرابًا وكسوةً معجونة بالذّل الذي يوقفهم طوابيرًا كليمة في انتظار صلات صكِّ التشرّد عاصمة النّار التي يطـــول انتظارهـــا ، أليس عليها أن تمرّ على كروش من جمعوها وحـــصّلوها ثـــم مـــن أحصوها ؟!! فيبتلعون منها ما يطفئ قرم بطونهم ، ثم تمـــرّ علـــى الموظفين الدّوليين في عواصم عدّة ، فيسرقون منها ما يسّرتْ لهـــم القوانين الواهية والسّراديب الخلفيّة ، ثم تمرّ على الحكومات الوطنيّة والتكتّلات الشّعبيّة والهيئات الخيريّة ، والموظفين الرّسميّين فـــي ثغور البؤس ، ومخيمات الحزن فُتختـــزل إلـــى النّـــصف أو نصف النّصف ، أو نصف نصف النّصف، إلى أن تتصفّى في

القليل النّزر من الفُتات والبقايا وما استبقته أيدي الطامعين للإبقاء على المهجرّين على قيد الحياة ثمّ تُرمى للواقفين في طوابير البّؤس ، يطالعون غيوم السّماء ، ويطلبون عون من جعلها تحلّق في البعيد ، ثم يحصون هباتهم الحقيرة ، ويحزمونها في خرقهم القديمة ، ويضمّونها إلى صدورهم بأيدي مرتعشة تعجز عن أن تمتدَّ إلى عيونهم لتمسحَ سائلاً جنائزيًّا اسمه الدّموع.

الفاء : فايز

فايز كان رجلاً من هذا الكوكب ، لا يعنيه تفاصيل حياته أو نسبه أو معيشته ، بل لا يكاد يجزم أنّ اسمه فايز ، لكن هذا الاسم تداعى إلى ذهنه لعلاقته الضّديّة مع حاله ، إذ هو الخاسر ، لكن يكفيه أن يدرك أنّ فايزًا سرق حلمه الذي ما عاد يذكره بالتّحديد ؛ لأنّه سرق معه جزءًا من ذاكرته التي كانت على شكل أحلام وأمنيات ، ولكن ما يفجعه في كلّ أحلامه المسروقة وذاكرته المؤدة أنّ فايزًا استطاع أن يسرقه لا لغفلة أو بلاهة أو حربًا شريفة بل لأنّه يملك من الغنى والسّلطة والنّسب الرفيع ما يعدم هو ، لذا حُلّ له سرقة حبّة عينه ، وفراشة قلبه ، ومن يومها احترف سلب حبّات عيون الآخرين ، وإحراق فراشات قلوبهم ، فقد جدّ وعمل وباع وبِيْعَ حتى أصبح اسمه فايزًا.

القاف : قانون

قانون بلا روح هو جثّة بلا حياة ، المكان الوحيد لهـا هـو القبـر والظّلام والانتهاء ، بهذا آمن ، لذلك فقد وهـب حياتـه للقـانون ، ولنشره ، وأضاع أجمل لحظاته الأسرة ، وأعزّ لقاءات الأصـدقاء ، وأهمّ مناسبات الوطن وفعالياته كي يخدم القانون الذي كان ناموسـه وحياته ورسالته ، وتقلّد لإخلاصه له أرفع أوسمة التّقـدير ، ولكـن عندما فشل قانونه في أن ينصف ابنته المغتصبة ؛ لأنّ مـن سَـرَقَ عزيزها هو من فئة مَنْ هم فوق القانون ، الذين يعدّون القانون شباك عنكبوت ، تعلق فيها الحشرات الضعيفة ، وتفتك بها الطّيور الجارحة ، وتفسّخ نسيجها حدّ التّلاشي ، عندها صمّم على أن يكون القـانون بروح لا جسدًا دون حيـاة ، وطبّق فعل العـدل ، وقتـل الـوحش الآدمي الذي استهان بكرامة ابنته ، وبروح القانون ، وسـعد بفعلـه وإن أصبح مجرماً في نظر القانون !!!

الكاف : كانا

كانا أخوين متعاونين متعاضدين بآراء مختلفة وأهواء شتّىً ، وأذواق متباينة ، ولكنّهما متحابان ، أليسا أخــوين أنبتهمــا رحــم واحــد ، وأرضعهما ثديٌّ حنون ؟ ذلك كان في زمن كان الوطن فيــه قــوي متماسك ، لكن سيف الفتنة حزّ خيط الدّم ، وفــكَّ عُــرى النّــسب ، وجعل الأخَ يشهر السّلاح في وجه أخيه ؛ لأنّهما ما عاد يطيقان أيّ آراء مختلفة أو أهواء شتّى أو أذواق متباينة ، فقرّر أحدهما أن يبيد الآخر ، وغربان الموت أمدّتهما بالسّلاح والفرقة والفتنــة ، فــدفع الوطن ثمن فرقتهما ، ولبستْ أمهما السّواد عليهما طوال عمرها.

اللاّم : لا

لا أحد يستطيع أن ينكر أنّ جذور الخلاف أقوى من أن تُجتثّ ، وأن تاريخ التنازع والخصومة والحقد والتحارب أكبر من أن يطوى وينسى ، لذلك لا يمكن أن تحلم تلك القبيلتين بأيّ صلح ، فقدر فنائهما تناحرًا ووحدة وعداوة في رمال الصحراء قدرٌ أسودُ محتوم ، وما عليهم شيوخًا وشبابًا وصبية وأطفالاً إلاّ أن يستسلموا لقدرهم المشؤوم المتمثّل بذلك الخلاف الخطير القاسم بين القبيلتين ، فأهل قبيلة الواحة يحبّون اللّبن المخفوق مطبوخاً فيه اللّحم الطّازج ، ولا يقبلون عن طبقهم القبليّ بديلاً ، ويربطون كرامتهم وحسن ضيافتهم وإكرام وفادتهم بطبخهِ بهذه الطّريقة ، أمّا أهل قبيلة الينبوع فيحبّون اللّحم الطّازج مطبوخاً إلى جانب اللّبن المخفوق ، ولا يقبلون عن طبقهم القبلي بديلاً ، ويربطون كرامتهم وحسن ضيافتهم وإكرام وافادتهم بطبخه بهذه الطّريقة. وأمام هذا الاختلاف الخطير في الأذواق ، وتباين مفاهيم الإكرام والكرم والضّيافة ضاعتْ فرصة السّلام والانتصار على الفُرقة وعلى رمال الصحراء القاتلة.

الميم : مقبرة

" مقبرة العائلة يجب أن تليق بأفراد عائلتي ، وبالتحديد يجب أن تليق بي ". قالت وهي تداعب كلبها الصغير كفأر ، والأشعث الشّعر كخاروف صحراوي ، فأومأ برأسه دليل الفهم والتأكيد ورفع يديه إلى السّماء ولهج بالدعاء بحرارة وتضرّع لأموات عائلتها ولأحبائهم ، وإن عجز أن يتذكّر لهم مأثرة واحدة ، إلاّ إنْ عدّ وقوفه على حراسة مقبرة أسرتهم لثلاثين عامًا براتبٍ واحد لم يعرف زيادة مأثرة تستدعي أن يصبّ عليهم وابل ترحّماته. قالتْ له بكبرياء لا يناسب ذل ثدييها الذين ترهّلا حدّ التدليّ ، وبرزا كئيبين سوداوين يجاريان سقوط عقدها الثمين من علياء رقبتها إلى سعادة كرشها : " أريد أن تجدّد المقبرة بشكل كامل يا أبا جبر ، أريد أن تصقل واجهاتها وأرضها وحواف قبورها بالرّخام ، وأن تزرع الزّهور في أحواضها جميعًا ، وأن تطلى بوابتها بالأسود اللامع ، أريد كذلك أن تُبنى نافورة جصّية في الوسط ، وأن تشذّب أشجارها ، وأن تُبنى في شمالها قبة من الأرابيسك العربي الأصيل كي توُضع فيه كراسي وطاولة لجلوس الزائرين ، كذلك أريد ملحقًا للزائرين يضمّ غرفة للاستراحة وحمامًا إيطالياً فاتح اللون ، ومطبخًا يناسب تحضير الوجبات السّريعة ، ولا تنسَ أن تحضر خطّاطاً ليعيد كتابة الأسماء على قبورها بالخطّ الكوفيّ القديم.

باختصار أريد مقبرة مريحة ، وقبورًا تليق بمقام أفــراد عــائلتي ، أفهمت ما قلت ؟! "

أومــأ الحارس الفقير الذي كابد سنين طويلة من الحرمان والكِبَــر برأسه مؤكدًا أمرًا ما ، دون أن يعي ما سمع ، فقد كــان مــشغولاً بالتّفكير إن كانتْ سعادة السّيدة تقبل بأن يسكن وعائلته فــي مقبــرة عائلتها الأكارم ، بدل أن يبقوا موزعين في بيوت الأقارب والجيران بعد أن انتزعتّ الدولة بيته القديم ، ومهدّت فوق حطامه شارعاً كبيرًا كأحزانه ؟!! وسيعدها بقوة أن لا يزعج أهلها الموتى فــي قبــورهم الفارهة.

النّون : نعى

نعى نفسه في الصّحيفة الأشهر في مدينته ، ودفع نصف راتبه مقابل هذه المزحة ، أراد أن يلهو بكلّ الأصدقاء والأهل والجيران والزملاء والأنسباء والمعارف ، أراد أن يضحك ملأ شدقيه من حزنهم عليه ، ومن تقاطرهم إلى بيته معزّين جماعات وزرافات وفرادى ، وأن ينزل في الصحيفة تكذيباً لموته ، واستنكارًا لكلّ من أنزل نعيًا له في صحيفة ، قرأ النّعي الذي نشره عشرات المرّات ، وضحك حتى تفتّق مقدّمًا توطئة للمهزلة المنتظرة ، وطال انتظاره ، وما قُرعَ جرس بيته أو طلب مستفسرٌ رقم هاتفه ، قلّب الصّحيفة لأيام إلى أن تبدّدتْ ابتساماته ، مخلّفة كدرًا وضيقًا ، وما وجد نعيًّا أو تأبينًا له ، فكّر طويلاً في تعليل هذا التهميش والتجاهل له ، استعرض أسبابًا محتملة كثيرة لذلك ، لم تكن أخلاقه السّيئة ، ومكائده اللئيمة ، وجحوده المتّصل ، وبخله الكبير ، وعقوقه منها ، ثم آل إلى أنّ لا أحدَ يستحق دعابته الكريمة ، وأنزل في اليوم التالي وفي الصفحة الأولى مع صورة كبيرة له وملوّنة خبر تكذيب وفاته لكلّ محبيه المهتمين بحياته المباركة.

الهاء : هي

هي سعادته الوحيدة ، ومتعة روحه ، ومتـــنفّس حياتـــه ، لا يتـــذكرّ بالضبط متى بدأ اهتمامه بألوانها وبرعايتها وبدسّ أنفه في بتلاتهـــا كي يسعد أنفه بشذاها ، لكنّه بحقٍّ عاشقٌ للزّهور ، لولاها لما كـــان معنيًّا بالعودة إلى بيته الكئيب الذي لا يعرف معنى الألفة في تأبدّه فيه ، وبمتابعته الحثيثة لسيرة حياتها القصيرة بين تبرعم وتفتّح وذبـــول يطوي أيّام عمره ، لم يبكِ في حياته إلا على زهوره التـــي داســـتها عجلات طفل متهورٍ مرّ بالجوار على درّاجته الهوائيـــة الجديـــدة ، حينها تمزّق قلبه ، وعدّها من أعزّ الراحلين عن حياته بعـــد رحيـــل أخته التي ربّته ورحيل صديقه الذي كان مضطراً لقتله ؛ لأنّه أحرق قلب أخته التي يعبدها ، ثم رحيل قيمه وأخلاقه وكرامته ثم عمره في سجن العاصمة ، وكاد يسلم نفسه إلى بكائه الشّفيق علـــى زهراتـــه المذبوحات في منزله ، لكنّه تماسك بقرارٍ حازمٍ ، ومسحَ دموعـــه ، وشرع يمشّط الحديقة من الأزهار القتيلات ؛ لأنّ البكاء لا يليق بقاتلٍ مأجور ، فهذا سينفّر الزّبائن منه ، وهو معنيٌ بالحفاظ على عملـــه ، إذن ليبكي قليلاً وبسريّة في قبو المنزل حيث لا يراه أحـــد إلا روح زهراته الراحلة.

الواو : وَقَفَ

وَقَفَ في مكانه المعتاد في النّفق الأرضي للمشاة الواصل بين الحي القديم والحي الجديد ، لبس جنونه المعتاد ، وما كان له أن يخلعه ، وتأبّط عتهه ، فتنزّى لعابه ، وسالتْ أمانيه على يده المشلولة ، التي ترفض أن تقبل بصدقةٍ أو هبةٍ ، فتسقطها أرضًا كارهة راضية ، فما كان يقف في مكانه طلبًا لصدقة ساعٍ أو هبة مارٍ ، إنّما كان يطلب العيون النّجلاء ، والرّوائح الأنثويّة الفاتنة ، جنونه لم يمنعه من أن يستجيب لنداء الطّبيعة لذكورته المأجّلة ، وكانت هي من اللواتي مررن في ذلك الضّحى من النّفق ، كانتْ مثقلة بهمومها ، وبشبابها الذي دخل في فورته الأخيرة ، ولوّح لها بيده شامتًا بطموحاتها المتداعية ومشاريعها الحمقاء ، خلخالها أنبتْ سحرًا أنوثيًا خاصّاً في أذنيه ، لاحقها بإلحاح عبر خطواتها القليلة في النّفق ، يده الشّوهاء ولعابه المتنزّي نفّراها بنزق ، أشاحتْ بوجهها عنه ، وحاولتْ أنْ تبعده عنها ، لكنّه أبى الابتعاد ، وأمطرها بوابلٍ من شهوات الذّكورة ، ورغبات الوصال الحارّ ممّا لم تسعد بسماعه من قبل ، ولا ظنّت أنّ فمه قادر على ينطق به ، في عميق عينيه رأتْ ذلك الاشتهاء المتوحّش الذي يردّ الأنثى إلى همجية اللّقاء ، ولذّة الوصال ، تدّخل المارة ، وصدّوه عنها ، فابتعدتْ وهي تتقطّر عرقًا

وتوتّرًا وشيئًا آخر ، وأقسمتْ على أن لا تعبر هذا النّفق مرة أخرى حيث هناك مجنونه ، وبرّت بقسمها ليومين ، ثم كانتْ في اليوم الثالث تعبر النّفق مبكرًا حيث لا مارة يصدّون مجنونه عنها عندما يُمطرها بكلمات الذّكورة المُلهِبَة.

الياء : يمرُّ

هو من عبيد والدها الوالي ومن جملة عبيد الأرض ، يمرُّ في كـــلِّ يومٍ من أمامها ، فيطير شيء يخضور من قلبها ، حلـــو المـــذاق ، هلامي التّفسير ، ويهبط على قلبه المقيّد بالعبوديّة ، فيهشُّ عليه بيده ليطّيره بعيدًا إلى قلبٍ حرٍّ ، فالحبُّ يريد قلوبًا حرّة لا قلوبَ تُضرب بالسّوط غدوة عشيّة ، فيعود الطائر حزينًا كسيفًا لينام في ضـــلوعها التي أورقتْ زهوراً نديّة غضّة منذ أن وقعتْ عيناهـــا عليـــه ، كـــم أتعبها السّير كلَّ يومٍ إلى حقول الذّرة والسّمسم كي تحظى بمتابعتـــه من بُعد ! وكم أشقاها عندما صدّها ! وألقى بحبّها بعيدًا ، قائلاً : " إنّ الحبّ للأحرار لا للعبيد ".

حاولتْ طويلاً أن تجد من نفوره منها مسوّغًا لهجره قبـــل وصـــله ، لكن تلك النّظرات في عينيه ما كانتْ لتخطئ معناها أيّ أنثى ، وكي تتأكد من حقيقة ما قرأتْ في عينيه اشْترته مـــن والـــدها الـــوالي ، وادّعتْ أنّها ستسخّره لقيادة دابتها في طريق عودتها إلـــى مزرعـــة زوجها الذي يعدّها من بين ممتلكاته ، وفي الطريق مزّقـــتْ صـــكَّ ملكيّتها له ، وأرختْ رأسها على زنديه ، وأغمضتْ عينيها ليسرقها إلى دنيا أخرى بعد أن تحرّرا.

أحزان هندسيّة

أحزان هندسية

(1)
أحزان نقطة المركز

هو المركز في الاهتمام ، يشعر بأنّ الدّنيا تدور من حولــه ، وهو في المركز لا يتحرّك ، ولكنّه لسبب لا يــستطيع أن يــصوغه بالكلمات يتمنّى لو كان له حظٌّ كذلك في الــدوران حيــث الانعتــاق والانفلات ، ويشعر بأنّ هذا المركز الذي يقع فيه ، ويجعلــه قبلــة الرّعاية والعناية هو ذاته الذي يكبّله ويقيّده ويفرض وصاية كلّ مــن حوله عليه ، على الرّغم من أنّ أمّه تقول إنّ عمره الآن يكاد يبلــغ السابعة عشرة ، إذن فهو كبير مثل أخيه مأمون ، وأصدقائه الصّغار في دار الرّعاية الخاصة أمثال لما وجواد وذلك الأشقر الصّغير الذي ينسى اسمه كثيرًا ، إذن فلماذا يعامل معاملة الأطفال ؟ ربما وجوده في المركز هو السّبب.

في البيت مآل اهتمام الكلّ ورعايتهم ، يطعمونه ويغسلون جسده ، ويقومون بكلّ أموره ، ويربتون عليه كقطٍّ شاميٍّ مــدلّل ، وفــي الشّارع تفرض أمّه أو معلمته أو مرافقة الباص الخاص الذي يستقلّه وصولاً إلى مدرسته عليه وصاياتها واهتمامها ، وفــي المدرســة كذلك هو نقطة المركــز ، فلا يدرس في صــفٍّ تقليديّ ، فيه طلبة

ومقاعد ومعلّمة ، بل يدرس وحـــده في مقعد أزرق مزركش ، وفي غرفة وحده ، ومع معلّمة متفرّغة له ، فلا يسعد بلحظة مشاكسةٍ ، أو حركة فوضى أو تشتّتِ انتباه ، وفي باحة المدرسة ترافقه معلمـــة ، تعدّل مشيته ، وترعاه ، وتعدّ أنفاسه عليه ، وكلّ ذلك سببه أنّه مهـــم ونقطة مركز حياة أمّه كما قالت له كلما احتجَّ على الحَجْـــرِ علـــى حريّته ، وعلى إجباره على لزومه البيت دون إخوته الذين يخرجون بحريّة ، حتى أخته زينة التي تصغره بسنوات ، ويستطيع أن يحملها بيديه لساعات دون أن يتعب تحظّى بحريّة دونها حرّيته.

ليته كان قادرًا على أن يصوغ احتجاجه في كلمـــات ، وليتـــه كان قادرًا على نطق كلماته بسهولةٍ دون تأتأة وتلعثم واضطراب إذن لقال للجميع : إنّه يكره نقطة المركز اللّعينة ، ويكره أنّه طفل منغوليّ كما يلقّبه الأطفال في الشّارع كلّما أطلّ عليهم من شرفة منزله ، لابدّ أن منغولي تعني أنّه يعيش في المركز ، لا تعني " ابني حبيبي " كما قالتْ له أمّه ، التي تكذبُ عليه كثيرًا بما يخصّ أزمته مـــع نقطـــة المركز التي يشغلها ، وتبكي بحرقة وهي تحضنه.

(2)
أحزان خطّين متوازيين

عندما تعارفا كان خطّين متوازيين ، لكن بانحراف نحو مركز واحد اسمه النّجاح والطّموح ، وكان من المؤكّد إنّها سيتقاطعان أو يلتقيان في نقطة ما ، أمّلا طويلاً أن تكون المركز ، وفي وتيرة النّشاط والدأب ، وحمأة الإنجاز وُلدتْ ومضة بينهما جعلتَ الدّرب أجمل ، والمسافة أقصر ، وكان العشق بينهما.

كلّ منهما نشأ يبرز في حقله ، وينجز الكثير ، هو سار قدمًا في تولّي المناصب ، حتى أصبح وكيلاً للوزارة ، وهي سارتْ قدمًا حتى أدركتْ المجد الإبداعي المسرحيّ الذي نشَدتْ ، واقتربتْ لحظة التقاء الخطّين في نقطة مركز ، وأعدّا العدّة ، واشتريا خاتميّ الزواج ، ووهبا وقتهما من أجل التّفاصيل الصغيرة التي يحتاجان إليها لإكمال مراسيم زواجهما ، وفي تلك التفاصيل كمنتْ عواصف الفرقة والشّقاق ، هي اجتهدتْ وتعبتْ وتريد مكاسب وغنائم تناسب تضحياتها ، وهو اجتهد وتعب ويريد استسلامًا وخنوعًا له يناسبان رجولته وسطوته ، هي عنيدة وهو متشدّد ، هي لن تقبل بالخسارة ، وهو لا يؤمن بالتّنازل ، هي تخلع خاتم الخطوبة ، وهو لا يبالي ، كلاهما يؤمن بموقفه الذي لا يتغيّر، ويؤمن بأنّه مستقيم لا ينحني ، ولا ينحرف قَيْد أنملة عن شأنه وموقفه ، يسير كلّ منهما في طريقه،

يغدوان خطّن متوازيينِ لا يمكن أن يلتقيا أبدًا مهما طال بهما الطريق ، مهما تجاورا.

في البداية ما كان أحدهما ليبالي بالآخر ، وكلٌّ منهما أشاح بوجهه عن الآخر ، وحثّا كلّ طاقتيهما على الرّكض والمزيد من الإنجاز ، فطال بهما المشوار ، إذ كان مشوار العمر ، وعندما لاحتْ لهما نقطة النّهاية ، محمّلين بكبرهما وحرمانهما وذكرياتهما المكسورة تنهّدا وتمنيا بصدق آسف محمّلٍ بالحسرة لو لم يكونا خطّين متوازيين ، إذن لكانا التقيا منذ زمن ، وسعدا ، وما عرفا أحزان التّنائي ، وصقيع اللّوعة ، لكن قدرهما كان التجاور أبدًا دون لخطة لقاء.

(3)
أحزان مثلّث

القانون الهندسي يؤكّد أنّ زوايا المثّلث بنفس الإنفراج أو الحدّة ، لذا فهي صورة عن بعضها ، ونسخةً مكرّرة لثلاث مرات عن حالة واحدةٍ ، لكن قانون الأحزان يؤكّد غير ذلك ، فزوايا المثلث عنده غير متكافئة ، فبعضها منفرج على الآخران ، وبعضها الآخر ضامٌ على ألمه ، في حين بعض منها يلتزم الحياد ، وأضلاعه غير متكافئة في الطّول ، فبعضها طويل بألمه ، وبعضها الآخر قصير بحسبه ونسبه ، أمّا حزنها هي ، فزاويته منفرجة على ألم الرّوح ، وفي زاويتين أخريتين يقف اللّوم والموت اللّذان يعصرانها.

في زاوية الموت يسكن ابنها الوحيد بمساحاته الممتدّة على السّعادة والطّموح والصّحة ، هو كلّ ثروتها من الحياة في وسط غابة من الأحزان والوحدة ورحيل الأحبّة ، كان يريد أن يكرّس جسده كي يكون أشهر ملاكم عرفه تاريخ الملاكمة ، ولكن الموت أراد أن يستردّ روحه ، فكان لجبروت إرادته الغلبة ، فأكل روحه في حادثٍ رياضي مريع ، ولفظ جسده سليمًا معافىً ينبض بالحياة بعقل لا يعرف من تعويذة الحياة إلاّ وجيب قلبٍ لا يتوقّف إلاّ بعد أيامٍ طويلة ومعاناة موصولة. فتقررّ الأم في لحظة انتحار مجازفة أن

تتبرّع بأعضاء ابنها الصّحيحة من قلب ورئة وكلـــىً وكبـــد وجلـــد وعظام وقرنيتي عينيه إلى مرضى في حاجة إليها ؛ فهي تريـــد أن توزّع حياة ابنها الآفلة على أرواح أخرى ، فيسعد المرضى بقرارها ، وتبكي هي بحرقة كسيفة.

وفي زاوية ثالثة يصبّ المجتمع لومه على قلبها الذي أصـــبح مقبرة نديّة تضمّ رفات ابنها بحنان ولهفة ، وينعى عليها أن تمـــزّق سكينة فقيدها الأعزّ ، وتدفنه مسلوب الأعضاء ، لتهبهـــا لغربـــاء لا تعرفهم ، ولا يعرفون شيئًا عن معاناتها أو عن رحيل ابنها. لكنّهـــا تضرب صفحًا عن لوم مجتمعها ، وعن خرافات بخلـــه المقيتـــة ، وتهب أعضاء ابنها للمرضى السّبعة ، فيشفون ، وهي ما كان لها أن تشفى لولا أنّها نعمتْ بسماع قلب ابنها ينبض من جديد في صدر فتىً يافع ، وبقرنيتي ابنها تبصران النّور في وجه طفلة صغيرة ، وبلمس جلد ابنها يتمدّد على جسد طفل صغير ، فامتلأت حنايا زواياها عزاءً ، وكادتْ تُقسم على أنّ ابنها ما يزالُ على قيد الحياة.

(4)
أحزان مربّع

يجوز كذلك في عُرف الأحزان أن تتساوى زوايا الحزن وتتماثل أطوال أضلاع الحسرة إذا كان هناك أربعة متحابيّن يفشلون في وضع صيغة وئام تتسع لهم معًا دون إقصاءٍ لزاوية أو أن كسرٍ لضلعٍ آدميّ أو هندسيّ ، هما وحيدًا أمّيهما ، وهما يتيمان دون أبوين ، وصدفة الزّواج التقليدي هم من جمعتْ بين ذاتيهما التي تذوّقتْ بأنسهما أوّل رشفات العسّل النّقي المصفّى ، فوجدتها حلوة سائغة ، فما عرفتْ شبعًا منها ولا اكتفاء ، وكان من الممكن أن يعيشا في نعيم الزّواج لولا أنّ لكلٍّ منهما أم تعدّ الابن مُلكًا من أملاكها ، لا تقبل فيه منازعًا ، حار الزوجان طويلاً في مربعهما الأسطوريّ الملعون ، فكلّ فيه عاشق ومعشوق ، ولكن لا يمكن أن يُتبادل الحُبُّ فيه بين الزوايا الأربع في آن ، وإذا سعد اثنان ، فعلى اثنين آخرين أن يتعسا بشدّة ، وكان الفصل الأوّل من الهناء من حظِّ الزوجين العاشقين ، ثم تفرّقا بأسىً بضغطٍ وكيدٍ من أميهما ، فسعدتا وشقيا الزّوجان ، وضاقا ذرعًا بالحياة ، وانكمشا في كائنين حزينين لا يرواحان مكانهما ، ولا ينتظران مستقبلاً أو يشفقان على حاضراً أو حتى يحنّا إلى ماضٍ ولّى دون رجعه ، فانتقلَ حزنهما إلى أميهما

اللتين أخفقتا في إصلاح ما أفسدتا ، فغدوا جميعاً مربعاً حزينـــاً لا يعرف السّعادة ؛ لأنّ زواياه أحبّتْ بغير ما يجب.

(5)
أحزان دائرة

يكون الحزن أكبر عندما يكون دائرياً لا يعرف نهاية أو توقّف ، ويتجدّد من حيث يجب أن ينتهي ، ويكون لعنة مقدّسة مغلقة لا تعويذة لفكِّها عندما يسقط على قلبها ممن تحبّ دون أن يبغوا ذلك ، طفلاها هما من أضاعا النّصف الأحلى والأبهج من شبابها وعنفوان أنوثتها ، وما كان طِفْلا أحشائها ، بل طِفْلا أمّها وأبيها ، ولم يكن لهما معيلاً ومحبًّا وراعيًا ومنفقًا عليهما خلاها ، ولما استبدلا ريشهما بزغب ، وطارا ، كانتْ قد احترفتْ الانتظار ، وأعدّتْ الحقائب لتبحث عن شريك ليقاسمها ما تبقى من رمق رغبتها ، لكنّ طفليها الآخرين كان عندها قد كُسرتْ أجنحتهم كبرًا وعجزًا ، واحتاجا إلى رعايتها وحبّها ، هي لم تلدهما كذلك ، بل هما من ولداها ، فهما أبوها وأمّها ، ومن جديد دخلتْ دائرة التّضحية الملعونة بقدسيتها ، وراحتْ توفّي نذرها الذي ما اختارته لتهب نصفها الحزين الأخير إلى والديها الطفلين ، وكذلك كان.

خرافات أميّ

سناء كامل أحمد شعلان

خرافات أميّ

عرفتُ دائماً أنّ أميّ تملك مواهب استثنائية ، ولو لـــم تكـــن مطحونة في أسريّة ذكوريّة متغطرسة ، وسليلة الحرمان والضّنك ، لكانتْ الآن على غير ما هي عليه ، لابدّ أنّ أميّ تملك أكبر كنزٍ من الحكايا والقصص ، ولو أَطلقت يديها في الماضي لمـــلأت الدّنيـــــا قصصاً وعجائب ، لكن أميّ كان قدرها التمنّي وأحافير الأحزان في يديها وفي خطوط وجهها ، فهي تاريخ صادق لا يُمحى يؤرّخ للشّقاء ولملامح الانكسار ، وتوجّدات حنايا الروّح ، كان مـــن الممكـــن أن تكون أميّ أعظم روائيّة أو قاصّة في هذا القرن لولا أنّها كانتْ أسيرة قطيع جفاة من الرجال اسمهم جديّ وأخواني وأبي ، لذلك نفثتْ هبتها المقدّسة في صدري ، وأسلمتْ نفسها للجنون والهـــذيان ، وأطلقـــتْ جناحيها لدنيا الهلوسة ، ووجدتْ راحتها أخيراً في غرفتها البيـــضاء كقلبها الحليبيّ في جناحٍ هادئ في مستشفى الجبل حيث تنزل هنـــاك بسريّة ، في حين يظنّ أبي وشقيقاتي وأقاربنا أنّها تزورني في بـــلادٍ بعيدة حيث أسكن مع زوجي المغرم حدّ الجنون بما أكتـــب ، إذ لـــم يكسر لي يوماً جناحاً ، بل حلّق معي بعيداً بجناحيّ. فما كنت أبـــداً لأكسر صورة أميّ الرّزينة العاقلة في عينيّ أحد ، وحسب أميّ أنّني معها لا أفارقها ليلاً أو نهاراً ، وأنـــصتُ دون ملـــلٍ أو كلـــلٍ إلـــى قصصـــها التي لا تفتر ترويها بســـلاسة ، وكأنّها تتلقّفها من

شلالٍ منهمر ، لا تتوقّف أبداً عن قصّها إلاّ إذا غلبها تعب أو نعاس ، أو غلبني ، فأتكوّر حينئذٍ نائمة على أريكتي بالقرب منها.

لا أعرف من أين لأمي بكلّ هذه الحكايا الأسطوريّة العجيبة ، ولا أعرف لماذا نسيتْ كلّ شيء ، حتى نسيتْ من أكون ، ولكنّها بقيتْ محتحفظة ببئرها السّحريّ من القصص دون أن تغفلَ عنها أو تنساها ، لعلّ قصصها هي ينبوع حياتها الأوّل ، وحقيقتها الوحيدة في دنيا الأكاذيب ، ولعلّه صدى أحزانها التي حدّثتني وأخواتي عنها آلاف المرّات في صغرنا ، فقد كانتْ حريصة على أن لا تندثر قصص شقائها ، وتبقى باقية في نفوس بناتها ثروتها الوحيدة في الحياة.

الخرافة الأولى

قالتْ أميّ نقلاً عن الخرافة :

كان يخضور طيباً كدمعة ، نقياً كمصرع شمعة ، لا يملك شيئاً قد يحنق حاسداً عليه بسببه ، حتى أنّ عقله خلعه برضىً ، وزهد بكلّ الدّنيا ، وهام في الجبال ، وسكن ضفاف البحيرات ، وأنصتَ طويلاً لصوت الغاب ، ولتغريد الطيور ، ولسقسقة العصافير ، فأتقن أصواتها ، فوهبته الأجمة مزماراً خشبياً،يعزف عليه ، ويطربها بموسيقاه التي جعلته أكثر طيبة وحبّاً للنّاس والحيوانات والكائنات.

لكنّ الشّر تربّص بيخضور ، وحسده على مزماره العجيب ، وتسلّل إلى نومه ، وسرق المزمار ، وكسره ، وهرب ، عندما استيقظ يخضور ، ورآى مزماره مكسوراً ، وأدرك أنّ لا جبر له ، حزن بشدّة ، وملأ الحقد والغضب نفسه لأوّل مرّة في حياته ، وأصبح من يومها شرّيراً لا يسعده أن يسمع صوت الغاب يردّد متمنيّاً أن يسمع صوت ألحان مزماره العجيب.

---

* أميّ كانتْ طيبة كدمعة طفل ، قانعة كغيمة ، لم تحلم يوماً بثوبٍ جديد ، ولا بحذاء أنيق ، ولا بدمية جميلة، لأنّ دخل العائلة بالكاد يكفي للأكل ولحاجات الحياة الأساسية بالمتبقّي بعد إرسال نفقات دراسة الأخ الكبير الذي يكابد قدراته الإدراكيّة

المتواضعة وصعوبات تعلّم لغة جديدة في بلاد الصّقيع والبرد كي يعود بلقب مهندس ، فتفخر به الأم ، ويحمل عبء الأسرة الكبيرة عن كاهل والده المعنىّ.

لكن أميّ سمحتْ لنفسها بأن تحلم بسنٍّ ذهبيّة ، يفترُّ عنها فمها القرمزيّ الدّائريّ كخاتم سحريّ ،وقلما يسمح لها أخوها الثاني بالتّرتيب أن تبتسم،إذ ابتسامتها تذكره قهراً بضحكات العاهرات اللواتي يسافد بالسّر في ملهى المدينة .

أرادتْ أميّ أن تلبّس إحدى أسنانها بقشرةٍ من ذهب ، ونجحتْ بأن تقنع والدها بأمنيتها التي تحقّقتْ على يديّ أوّل غجريّ مرَّ بالحيّ ، فدفع والدها بعض المال له ، وتحّملتْ هي ألماً جبّاراً ، وحصلتْ أخيراً على سِنّها الذّهبية ، واختالتْ بها ، قبل أن يقبض أخوها عليها بجريمة الابتسام ، فيضربها ، ويكسر سنّها الذّهبية ، ويغرّمها ثلاث أسنان أخرى عقاباً على فرحتها.

حزنتْ أميّ طويلاً ، وما عادتْ تحلم أبداً ، وإن كانتْ تسعدْ سرّاً بمراقبة أسنان أخيها تتساقط الواحدة تلو الأخرى بسبب مرضٍ عجيب أصابها ، فيهزلُ من قلّة الأكل الذي يقدر على ابتلاعه ، ويحرّم على نفسه الابتسام كي لا يكشفْ عن غور فمه الأجرد.

الخرافة الثانية

قالتْ أمي نقلاً عن الخرافة :

عاشتْ جبينة التي هي ببياض الجبن ، ولها عينان بخضار النّعناع البريّ سعيدة بين أخوتها السّبعة ، الذين نذروا أنفسهم لحماية أختهم الجميلة من غيرة ساحرة الجبل ، التي تزوّجتْ أباهم السّلطان ، وغارتْ من جمال ابنته إلى أجمل أمير ، فحوّلتها إلى يمامة مسحورة ، تطير في السّماء ، ولا تعرف الرّاحة . وطفق أخوتها المحبّون يبحثون عنها في كلّ مناكب الدّنيا ، إلى أن وجدوها ، وحرّروها من سحرها بسبعة نقاط من دمائهم مجتمعين ، ثم عادوا إلى قصر أبيهم ، فوجدوا أباهم قد مات ، حزنوا عليه كثيراً ، ثم طردوا السّاحرة الشّريرة من حياتهم ، وزوّجوا أختهم من أجمل أميرٍ في الدّنيا، وتزوّجوا من أميرات ست من الممالك التي تحيط بمملكتهم ، وعاشوا جميعاً سعداء متحابين ، وأختهم جبينة بينهم ترفل بالحرير والجّواهر ، وتتمّتع بالحبِّ والاحترام والأمن ، إلى أن جاء هادم اللّذات ومفرّق الجماعات.

---

*أميّ كانت ببشرة بيضاء كدّها الشّقاء،وبعينين خضراوين خائفتين دائماً من ركلة أو صفعة من أحد أخوتها الأربعة المتجبرّين،لذلك عاشتْ خائفة كضفدعةٍ في مستنقعٍ قذرٍ زلق، حسبها حنان أم مغلوبة على أمرها، باعها أهلها لزوجها منذ كانت

في الرّابعة عشرة من عمرها ، فقطعتْ سنين العمر القاتمة مزارعة بالسّخرة في أرض زوجها في الصّباح ، وخادمة في بيتها في المساء ، وجارية في فراش زوجها في تقاسيم اللّيل، وما كانتْ تشتكي ، ومن كان سيسمعها أو يرفق بها لو فعلت خلا أميّ التي ورثتْ مجبرة شقاء والدتها بعد موتها المفاجئ.فأصبحت خادمة الجميع ، وعدّوة زوجة أبيها ذات الوجه الفضفاض المفلطح كرغيف خبز بلدي غير خامر مخبوزٍ على عجل ، وجارية لنساء أخوانها ، ولمّا ذاقتْ ذرعاً باستعبادها ، ثارتْ ثورة بيضاء سريّة ، لم يعلم بها أحد ، وتزوّجتْ من أبي السّوداوي كطاعون مقرف ، واحترقتْ بأتون حياته ، وما بالى بها أبٌ أو أخٌ إذا ما كان تُسمح لهم نساؤهم بزيارتها إلاّ في عيديّ الفطر والأضحى على عجلٍ حفاظاً على صورتهم الاجتماعية أمام الأقارب والأنسباء ، فيدسّون في يدها أوراقهم النّقديّة الهزيلة والقليلة على عجل ثم يغيبون لسنة ضوئيّة أخرى ، ويتركون أميّ تتنعمّ بشقائها ، وبكيد حميها ، وبأحمالها الكثيرة والمتكرّرة.

الخرافة الثالثة

قالتْ أميّ نقلاً عن الخرافة :

عاشتْ في قديم الزّمان فتاة جميلة تُسمى (كهرمان) ، كلُّ الأمراء تنافسوا على قلبها ، لكن قلبها كان ملكاً لفارس جميل اسمه (همام) ، وكي يظفر بها وتظفر به ، اشترطتْ على من يرغب بالزّواج بها أن يهديها نجمة من السّماء ، حاول الفرسان أن يحققّوا شرطها ؛ ليظفروا بقلبها ، ولكنّ الفشل كان حليفهم ، إلى أن صارع (همام) المارد الذي يحرس قبّة السّماء ، وسرق منها نجمة لمّاعة عملاقة ، وعاد بها إلى قصر حبيبته (كهرمان) ، فمهرها النّجمة ، وأهداها في يوم زفافها صندوقاً سماويّاً أزرق ، فيه من الجوهر ما لم ترَ عين ، أو تسمع أذن ، وكان يهديها كلّ ليلة ثوباً شفافاً خاطه من أردية السّماء التي سرقها من المارد الجبّار. وعاش معها في سعادة وهناء ، وأنجب صبيان وبنات ، إلى أن زارهم هادم اللّذاّت ومفرّق الجماعات.

---

*أميّ خادمة الأسرة ، وجارية الأخوة لم يكن يُسمح لها بأن تحبّ أو تحلم أو تشترط ، ولذلك تزوّجتْ أبي بترتيب عائلي دون شروط أو رغبات ، وزفّتْ إلى بيته كأسيرة ، وإن نسيتْ أنّها جاريه، كان والديّ يعرّيها من ملابسها دون اشتهاء ، ويضربها بسوطه حتى يدميها ، فتشهد أنّها عبدته لا زوجته ،فيغتصبها

عشرات المرّات ، ثم ينام كبعير ، وتسهر ليلها تعالج جراحهـــا ، وتبكي بصمت كي لا تعكّر صفو نوم أبـــي البغـــل ، فمـــشاعره مرهفة للغاية ، لا سيما فيما يخصّ النّوم !!!

الخرافة الرابعة

قالتْ أميّ نقلاً عن الخرافة :

عاشتْ في قديم الزّمان امرأة مباركة تحبّ الخير ، ولا تنطق إلاّ خيراً ، تحبّ الناس ، وتحسن إليهم ، وتعيش معتكفة في كوخٍ في الجبال تعبد الله ، ويقوم ابنان لها على خدمتها ، وفي يوم اشتهتْ فاكهة خياليّة رأتها في إحدى أحلامها ،فحدّثتْ ابنيها البارّين عنها، فقرّرا أن يسافرا ، ويجوبا الدّنيا ، حتى يعودا بالفاكهة الحلم ، وانطلقا في رحلتهما ، أحدهما اتجه شرقاً والآخر غرباً ، وطالتْ رحلة الأخوين ، حتى التقيا صدفة أمام بستان يحرسه وحشٌ بألف أُذن وألف فم ، ودون عيون.

---

*أمي سيدة تعيشُ في أوهامها وحرمانها ، ولا تستطيع أبداً أن تخرج من إسارهما ، تكره المستشفيات والأحذية البلاستيكيّة والتفاح الأحمر غاية الكره ، وتعدّ الموت فيهما ، وقد اجتهدتُ أن أقصيها عن الأحذية البلاستيكية والتّفاح الأحمر ، لكن المرض والخيالات أرغمتها على لزوم المستشفى ، وأعفتها من أن تتذكّر بأسىً ذلك اليوم الذي خرجتْ فيه أمّها من مستشفى في بلدتها الصغيرة محمولة على الأكتاف ميتة ، بعد أن أصيبتْ بجلطة قاتلة عندما علمتْ أنّ

ابنها الكبير الذي أنفقتْ عليه سنوات العمر وراهنتْ عليه بسنين الشّقاء قد عاد بعد عقدٍ من الغياب دون لقب مهندس يتأبّط الفشل وزوجة شقراء كصفرة الموت.

استرّق الأخوان نظرة على حديقته ، فوقعت أعينهم للتّو على ثمرة غريبة لم يريا مثلها من قبل ، فأدركا أنّها ما تشتهي والدتهم ،وعرضا على الوحش أن يشترياها ، فاشترط الوحش أن يهبهما كلّ واحد منهما عيناً من عينيه ثمناً للفاكهة ، وأصرّ على طلبه ، فهو في حاجة إلى عينين كي يستطيع أن يحرس بستانه الكبير ، فكرّ الأخوان قليلاً ، ثم وافقا بحزنٍ على طلب الوحش ، ووهبه كلٌّ منهما عيناً من عينيه للوحش ، وأخذا الفاكهة ، وعادا إلى والدتهما بها ، فأكلتْ منها حتى شبعتْ ثم دعتْ لهما ، فأبدلهما الله عينين بعينيهما ، وبارك لهما في عمرهما ، وفي رزقهما ، ووهبهما بركة رؤية الشّر ونبذه ، ورؤية الخير وقصده ، وكلّ ذلك ببركة برّهما بوالدتهما العجوز.

لم يحتمل قلبها حزن الخيبة، ووجدتْ في الموت طاقة على الفرج ، فقصدته ، وهي لا تزال تحلم باليوم الذي ستصبح فيه أم المهندس ، فيلبسها ثوباً من الحَبَر ، ويشتري لها حذاءً جلدياً بدل حذائها البلاستيكي الذي بَرَدَ قدميها الصغيرتين ، ويطعمها كلّ يوم تفاحاً أحمر كالذي تغضُّ الطرف عنه كلما مرّت به في السّوق.

رحلتْ جدّتي وتركتْ في نفس أميّ أحزاناً بلاستيكية حمراء ، وأحلام صغيرة لا تتحقّق ، إذ يغلق القدر أذنيه دونها لصغرها.

الخرافة الخامسة

قالتْ أميّ نقلاً عن الخرافة :

كان في قديم الزمان فتاة عجيبة ، منذ وُلدتْ لا تنـــام ولا تأكـــل ولا تشرب ، فتطيّر النّاس منها ، وخافوا من الاقتراب منها ، وعـــدّوها شرّاً يخشونه ، ولذلك سجنوها في قلعةٍ في الجبال ، وأقاموا عليهـــا الحرس والجدران ، فعاشتْ الفتاة في سجنها وحيدة حزينة. وفي يوم ممطر هاجم الأعداء البلاد ، ودكّوا الأسوار ، وفتكوا بـــالزّرع والنّساء والذراري ، فكتبتْ الفتاة السّجينة قصة فيها جـــيشٌ وطنـــي جرّار ، يسحق الأعداء ، ويحقّق الآمال ، فدبّتْ الحياة في الأبطـــال الأوراق ، وأصبحوا جيشاً قهر الأعداء ، حرّر البلاد ، ثـــم كتبـــتْ قصة عن هناء يعمر البلاد ، وشفاءٍ يدرك المرضى فيشفيهم ، وخير وبركة تحلّ على العباد ، فدبّت الحياة في كلماتها ، وغدتْ حقيقـــة. عندها عرف النّاس قيمة الفتاة اللّغز، وأنزلوهـــا منزلـــة التّقـــدير ، وأدركوا سبب استثنائيتها وغرابتها وعدم نومها ، إذ لا يجوز لكلمـــة الحقّ أن تنام.

---

*أميّ أُجبرتْ على هجر كتبها وصفّها ومدرستها بعد موتها لتعتنـــي بالأخوة والبيت ، وترعى الأحزان ، ولكنّها لم تهجر قلمها

أبداً ، وبقيت تكتب في دفترها المهترئ القــديم آلاف القــصص ، وتحلم بأن تدبّ فيها الحياة ، وتصبح حقيقة ، لكنّها لم تفعل ، وماتت محروقة في موقد البيت على يديّ الأخوة الذين رأوا فــي احتــراف أختهم الكتابة عاراً لا يُمحى ، فأُخرسْ قلم أميّ ثم كُسر وما كُسرتْ قصصها في قلبها ، ونفثتْ بها في قلبي ، فكانتْ وهمــيّ وقلمــي ، وحقيقتي ، وكانتْ خرافاتها التي لا تغادرها ، ولو غادرتها الدّنيا.

!!!!

انتهتْ المجموعة القصصيّة... ولكن....

فهرس

سيرة التكوين	7
عروس مولانا الماء	10
حوريات الماء	12
عرافة الماء	14
تحولات السيد	16
مذكرات مولانا الماء	17
الطوفان	20
عام مولانا الماء	21
س.ص.ع.لعبة الأقدام	23
لعبة الأقدام	32
سفر البرزخ	35
قصة الخلاص الأولى: (من... إلى صفر...)	37
قصة الخلاص الأخيرة:(من... إلى صفر...)	39
المفصل في تاريخ ابن مهزوم وماجادت به العلوم	41
ابن زُريق لم يمت	43
شهريار يتوب	47
جالاتيا مرة أخرى	50
مسرور المجنون	54
معروف الإسكافي	57
السندباد السماوي	60
حذاء سندريلا	63
شمشوم الجبار	65
العذراء الذبيحة	65

ثورة اللصوص 66
الخيل والماء والنار وما يزرعون 66
عام النمل 67
قاموس الشيطان 73
أحزان هندسية 105
أحزان خطين متوازيين 109
أحزان مثلث 111
أحزان مربع 113
أحزان دائرة 115
خرافات أمي 121
الخرافة الأولى 121
الخرافة الثانية 123
الخرافة الثالثة 125
الخرافة الرابعة 127
الخرافة الخامسة 129

مطبعة تطوان